الأخبار
al-akhbar

السبت 11 تموز 2026
العدد 5822 السنة العشرون
Samedi 11 Juillet 2026 no 5822 20ème année

www.al-akhbar.com

24 صفحة
100000 ليرة

كلمات
أميركا بين حريقين

عون يقامر بوحدة الجيش... وسلامته!

العدول «اختبار النوايا والقدرة» في 6 قرى محررة وواحدة محتلة

«الرئيسان» يتجاهلان الحكومة: إلى روما الوضع الإطار التنفيذي

الجيش «لا يعمل» في خطة العدو وثبّت رفضه «التنسيق المباشر»

الحصار على فريق برّي: ممنوع التواصل مع المعاقبين أميركياً

3 - 2

إيران - أميركا
ربط نزاع

9 - 8

(أ ف ب)

قضية اليوم

قرى لـ«اختبار الجيش»: فرون والغندورية وصريفا وقلاويه وبرج قلاويه والزوطران

عون ينتقل إلى «الإطار التنفيذي» دون مناقشة الاتفاق في الحكومة

(مروان بو حيدر)

وبعد التشاور مع الأميركيين، قرّر عدم إحالة اتفاق – الإطار إلى مجلس الوزراء، معتبراً أنه لم يصل بعد إلى مستوى الاتفاق، وبالتالي فهو لا يزال يخضع لصلاحياته كمفاوض بحسب المادة 52 من الدستور. وقد وافقه سلام الرأي، معتبراً أن الحملة على الاتفاق لا أساس لها طالما لا يزال في إطار التفاهمات.

لكنّ حقيقة الأمر، لا تتعلق بوجهة التصويت في الحكومة، حيث يُفترض بعون وسلام أنهما يضمنان أغلبية الأصوات في مواجهة أي اعتراض من جانب الثنائي أمل وحزب الله، لكن تبيّن لهما مع الوقت، أن الوزير فادي مكي قد لا يشارك في الجلسة، وأن الوزيرين طارق متري وغسان سلامة أبلغا رئيس الحكومة اعتراضهما على صيغة الاتفاق، فيما وصلت إلى عون معلومات عن أن وزيري الأشغال والزراعة اللذين يمثّلان النائب السابق وليد جنبلاط قد يلجآن إلى التصويت ضد الاتفاق ربطاً بموقف جنبلاط، أو أن يغيبا عن جلسة الحكومة.

وإلى جانب جهود عون المُكثّفة من الجانبين الأميركي والسعودي من أجل منع بروز معارضة كبيرة للاتفاق في الحكومة، فهو وجد أنه من الأفضل له، عدم إحالة الملف من أصله إلى نقاش خارج الإطار الضيق الذي يخصّه وحده، حيث يعلم الجميع أن سلام ليس مشاركاً في الاتصالات ولا في المفاوضات. لكنّ الخطير في ما يقوم به عون، هو أنه قرّر الذهاب إلى روما من أجل المشاركة في اجتماعات تهدف إلى وضع الإطار التنفيذي للاتفاق قبل إقراره من الحكومة، علماً أن عون، الذي سمع أن قيادة الجيش تحتاج إلى قرار من مجلس الوزراء يصادق على الاتفاق حتى تشرع في تنفيذه، قرّر أن الجيش ليس معنياً بمصدر الجهة التي تصدر القرار، مكرّراً أن مُقرّرات مجلس الوزراء الصادرة طوال الفترة الماضية، توجب على الجيش تنفيذ الخطوات بمعزل عن اتفاق واشنطن.

وفي السياق، علمت «الأخبار» أن آخر عرض قدّمه العدو إلى لبنان بواسطة الجانب الأميركي، تضمّن أن تكون المناطق التجريبية مؤلّفة في المرحلة الأولى من منطقتين. الأولى تخص زوطر الغربية وزوطر الشرقية شمال نهر الليطاني، وقرى الغندورية وفرون وقلاويه وبرج قلاويه الواقعة جنوب نهر الليطاني. وبحسب المُقترح الإسرائيلي، فإن على الجيش اللبناني الدخول إلى هذه المناطق والشروع في عملية نزع وتفكيك كل البنى العسكرية للمقاومة، وضمان عدم بقاء أي عنصر من حزب الله فيها. وبعد قيام فريق أميركي (بالتنسيق المباشر ومن خلال تقنية الفيديو) بالتثبّت من تنفيذ الجيش للأمر، تعمد قوات الاحتلال إلى إعلانها مناطق «آمنة خالية من أي وجود عسكري إسرائيلي وخارج أي سيطرة نارية إسرائيلية».

عملياً، يعرف الجيش كما سلطة الوصاية، بأن المناطق التي يعرضها العدو، يوجد في قسم صغير منها قوة احتلال محدودة العدد والعُدّة، فيما يقبت المساحة مناطق مُحرّرة. ولكنّ العدو اختار عملياً المناطق التي فشل في احتلالها خلال الحرب، وهو يريد في المقابل من الجيش إزالة كل ما له علاقة بالمقاومة في تلك المنطقة، من مُنشأة على الطاهر وكل المواقع أو المنازل أو البنى التحتية التي يقول العدو إن المقاومة تتواجد فيها أو استخدمتها في هذه البلدات وفي الأودية المحيطة أو القريبة منها.

وكان عون واصل أمس استقبال القوى والشخصيات بناءً على طلب الموفد السعودي يزيد بن فرحان، وقام قائد «القوات اللبنانية» سمير جعجع على رأس وفد ضمّ نواب حزبه بزيارة إلى القصر الجمهوري، لإظهار الدعم لما يقوم به عون في ملف التفاوض، وقد ردّ الأخير بأنه مستمر في مساره وأنه يتوقع أن تتحقّق نتائج قريبا مستنداً إلى دعم أميركي.

(الأخبار)

«تضييق الخناق» على بعلبكي

كشفت مصادر مطّلعة على التدخلات الأميركية – السعودية في تفاصيل عمل إدارات الدولة العسكرية والأمنية والقضائية، أن واشنطن أبلغت جهات نافذة في بيروت، أنها في صدد مراجعة لائحة بأسماء شخصيات شيعية تعمل ضمن المؤسسات العسكرية والأمنية والقضائية، من أجل فرض عقوبات على كل من يشتبه في أنه يقيم علاقات سياسية أو حتى اجتماعية مع أي شخصية تمّ وضعها على لائحة العقوبات. وقالت المصادر إن الجانب الأميركي سوف يتقدّم خطوة في سياسة الحصار المفروضة على الثنائي أمل وحزب الله، من خلال قرار سيتم إبلاغه بطرق مختلفة إلى «من يعنيهم الأمر» بالإجراءات الجديدة.

وبحسب المعلومات فإن آخر التعليمات التي أعطيت لمسؤولين في مديرية المخابرات في الجيش اللبناني، أن يعتذروا عن عدم الاجتماع بأي مسؤول أمني أو عسكري من حزب الله، وكذلك التوقف عن التواصل مع مساعد الرئيس نبيه بري الحاج أحمد بعلبكي، وأن يتم إبلاغ الضباط في الجيش بضرورة الالتزام بهذه التوجيهات. وتكفّلت جهات أمنية في السفارة الأميركية في بيروت، بأن تتواصل مع المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي من أجل إبلاغ فرع المعلومات في قوى الأمن والمديرية العامة للأمن العام بالتوجيهات نفسها، على أن يتم إبلاغ قيادة جهاز أمن الدولة بذلك أيضاً.

وتركّز السفارة الأميركية على عزل بعلبكي عن أي اتصال ليس بالضباط والأمنيين فقط، بل حتى بالقضاء والموظفين في وزارتي الدفاع والداخلية. ونُقل عن مسؤول في عوكر قوله إنه «يوجد إلى جانب رئيس المجلس، مستشارون يمكن التواصل معهم في حال اقتضت الحاجة، لكن لا يمكن التواصل مع مستشارين أو سياسيين في حركة أمل من الذين تمّ وضعهم على لائحة العقوبات». وقال الأميركيون إن خطوتهم هذه مُنسّقة مع سفارات أخرى في لبنان، خصوصاً مع السفارة السعودية.

مصادر عسكرية: الجيش لا يعمل في خدمة العدو

رلى إبراهيم

بعد مرور أسبوعين على توقيع اتفاق – الإطار، ما زالت قوات الاحتلال تمارس خرقها لوقف إطلاق النار، وتقتل وتقصف، بينما تحاول التوسّع في بعض المناطق، في وقت يستمر فيه تدمير البيوت وتجريف الأراضي في المناطق المحتلة، تحت إطار «شرعنة الاتفاق للوجود الإسرائيلي في لبنان» كما قال بنيامين نتنياهو. وتشير مصادر عسكرية رفيعة لـ «الأخبار» إلى أن «لا اتفاق حول أي مناطق نموذجية، وما اقترحه الإسرائيلي سابقاً قوبل برفض تام من الجيش». فكل ما جرى الحديث عنه في واشنطن تمحور حول مناطق غير محتلة ولم يتمكّن جيش العدو من الوصول إليها وبالتالي «لن يعمل الجيش تحت إمرة أحد، وإن الجيش ليست مهمته تنظيف الأرض للعدو، من أجل تسهيل دخوله إلى المناطق التي لم يتمكّن من الوصول إليها بفعل المواجهات الكبيرة مع المقاومة، ولن يكون الجيش سبباً في احتلال المزيد من الأراضي».

(هيثم الموسوي)

وقالت المصادر إن الجيش «يدخل إلى المناطق المُحرّرة لتعزيز الأمن فيها مع التزامه بفرض سيطرته عليها. ولكنه يدخل إلى الأراضي المحتلة لأجل إعادة بسط سلطة الدولة فيها، وتوفير العودة الآمنة لأهاليها». وبحسب المصادر فإن «الوفد العسكري شدّد أمام الأميركيين والإسرائيليين على حدّ سواء خلال جولة المفاوضات الأخيرة على عدم قبوله تلقّي تعليمات من جيش العدو، ولا التنسيق المباشر معه، ورفضه لأي آلية تتسبب بالإخلال بالسلم الأهلي أو يكون هدفها الأساسي وضع الجيش في مواجهة الأهالي. وهو ما أدّى إلى اصطدام الوفد العسكري اللبناني بالوفد السياسي آنذاك».

> هيكل يعتبر وحدة الجيش ودوره أولوية حتى ولو كلفه الأمر إقالته من منصبه

وبحسب المعلومات فإن الاتفاق الذي حصل بغياب ممثلين عن الجيش، لم يتضمّن أي تفاصيل حول آلية الانسحاب، وحتى الساعة لم يتلقّ الجيش جدولاً زمنياً مع خارطة واضحة، لكن هناك رسائل ومعلومات تُرسل بطرق غير رسمية، تتعلق بالمناطق التجريبية».

غير أن رئيس الجمهورية جوزيف عون وفق ما أبلغ زواره ينتظر وصول رئيس اللجنة الأمنية والعسكرية الجنرال الأميركي جوزيف كليرفيلد المُكلّف بإدارة «مجموعة التنسيق العسكري من أجل لبنان»، وبحسب الزوار فإن عون «يأمل في تحديد منطقة أو منطقتين لانسحاب الإسرائيليين منهما بضغط أميركي». لكنّ المعطيات تشير إلى عدم وجود آلية واضحة حتى الآن، برغم إبلاغ الجيش الأميركيين، كما السلطة في لبنان جهوزيته الكاملة، وقد وضع أيضاً خططاً تفصيلية حول الوضع في الجنوب مُرفقة بخريطة انتشار واضحة ما إن يتم الانسحاب من المناطق المحتلة. فالجيش لن يوافق على دخول أي منطقة يكون فيها جندي إسرائيلي واحد ولن يقبل التنسيق مع العدو في أي تفصيل.

أبلغ قائد الجيش رئيس الجمهورية ما يعرفه الأخير جيداً بحكم منصبه السابق: «لا يمكن التلاعب بالجيش أو إقحامه في الخلافات السياسية لأن تمن عمل مماثل لن يكون أقل من انقسامه وسقوط المؤسسة بأكملها». ليست المرة الأولى التي يولي فيها هيكل مصالح مؤسسته فوق كل اعتبار. سبق أن وقف في وجه ما حاول بعض النواب تمريره في قانون العفو العام. يومها زاروا القصر الجمهوري واقترحوا تعديلات تتناسب وإخلاء سبيل «أبو طاقية» وأحمد الأسير وغيرهما ممن استهدفوا عناصر الجيش، من دون أن يكشفوا عن نيتهم. إلا أن قائد الجيش سرعان ما كشف مخططهم ووضع فيتو على تلك التعديلات وأوقفها مؤكداً أن «الجيش خط أحمر». لذلك لن ينهاون هيكل مع أي مشروع يحبط من معنويات الجيش أو يمسّ عناصره وشهداءه، ويقول بوضوح لزواره: «الحرص على وحدة الجيش ودوره يأتي أولاً حتى لو كلّفه ذلك إقالته من منصبه».

تقرير

الأسرى اللبنانيون: عندما تتخلّى الدولة عن أبنائها!

رَجانا حمية

«بعدنا ناطرين». عبارة مُثقلة بالفقد تردّدها شادية جهير، والدة الأسير محمد علي جهير، مع عشرات العائلات التي لا تعرف مصير أبنائها الذين خطفتهم قوات الاحتلال الإسرائيلي في الحربين الماضيتين، وما تلاهما من وقف مُفترض لإطلاق النار.

هل هم على قيد الحياة؟ أم استشهدوا تحت التعذيب؟ أم أخفوا؟ أسئلة تعصف في رأس شادية، التي اختُطف ابنها الأب لثلاثة أطفال، في 2 شباط 2025 (بعد وقف إطلاق النار)، وهو في عمله. كان على متن زورقه في البحر يبحث عن رزق أطفاله، حين باغته العدو وأخذه رهينة. وطوال شهرين ونصف شهر من الاعتقال القسري، لم تكن شادية تعرف عن مصير ابنها شيئاً، وجلّ ما كانت تفكّر به الأم في أيام انتظارها المُثقلة بالحزن أن يكون العدو قد رمى ابنها في البحر. وفي تلك الفترة، لم تترك شاديا باباً قد يأتيها بخبر لم تطرقه، من دون إجابة، إلى أن جاء خبر الإفراج عن أربعة أسرى، فـ«لحقنا بهم إلى المستشفى وحصلنا على أرقام هواتفهم وتواصلنا معهم، وكان الخبر الوحيد الذي تلقّيته عن محمد من أحدهم، أن العدو نقله إلى زنزانته في سجن عوفر». وبعد أشهر طويلة، تبلّغت شادية «من الجمعية اللبنانية للأسرى والمحرَرين بأن محمد نُقل إلى سجن الرملة». وغير ذلك، لم يصل أي خبر عن محمد ورفاقه، و«لم يتواصل معنا أحدٌ من الدولة، على الأقل لأخذ العلم والخبر». هكذا وجد أهالي الأسرى أنفسهم «بلا سند»، تقول شادية.

الدولة غير مُهتمة

فملف الأسرى غائبٌ تماماً عن بال السلطة. يظهر ذلك، مثلاً في «غياب البعثة اللبنانية بشكل كامل» عن الجلسات العادية لمجلس حقوق الإنسان، في جنيف، يقول رئيس «مركز الخيام لتأهيل ضحايا التعذيب»، محمد صفا. ويُحمّل المسؤولية لـ«الوزير المستقيل من مهامه يوسف رجّي»، الذي عندما زار جنيف «لم يُكلّف نفسه زيارة اللجنة الدولية للصليب الأحمر للتباحث في القضية، رغم وجود أسير قاصر من جهة وصدور أحكام بحق ستة أسرى آخرين، بما يخالف كل القوانين الدولية». يذكر، في هذا الصدد، أن نائب رئيس الحكومة، طارق متري، حضر جلسات لمجلس حقوق الإنسان. غير أن الخطابات وحدها لا تكفي.

فالسلطة، منذ عام 2024، راكمت ما يكفي من مواقف، لكنها انتقلت عملياً، على ما يقول صفا، من النأي بالنفس إلى التواطؤ «بصمتها، الذي يشجّع الإسرائيلي على الاختطاف»، وصولاً إلى «التخلّي عن الأسرى»، برهنها في اتفاق الإطار مصير الأسرى وعائلاتهم بمصير رفات الطيار الإسرائيلي رون أراد المفقود منذ أربعة عقود.

«رهن حياة الأحياء مقابل الرفات» سابقة خطيرة، وفقاً لعضو الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان، بسام القنطار. وهو ما عبّرت عنه الهيئة، في بيان، رفضت فيه المقايضة أو الربط «بين الإفراج عن اللبنانيين الأحياء المحتجزين والمخفيين قسراً، والبحث عن رفات جنود إسرائيليين»، بما يتعارض مع المبادئ الأساسية للقانون الدولي الإنساني، الذي يميّز بوضوح بين الالتزامات المتعلقة بحماية الأحياء وتلك المتعلقة باحترام الموتى والمفقودين، ويمنع تحويل الحقوق الإنسانية إلى أدوات تفاوض أو مساومة سياسية.

وعليه، لم تعد المنظمات وحتى الأحزاب وعائلات الأسرى تستغرب انكفاء السلطة، فالحكومة اللبنانية لم تقم بأي خطوة أو مبادرة حتى الآن لـ«المطالبة بالكشف عن مصير هؤلاء، ولا على الأقل المطالبة بزيارة الصليب الأحمر الدولي لهم». فالخطورة في ملف الأسرى لا تكمن فقط في عدم علم الطرف اللبناني بعدد المُختطفين، وإنما أيضاً «في ما يمارسه العدو من تعتيم كامل، فلا أحد يدري بظروف اعتقالهم ولا بما يتعرّضون له ولا بمكان وجودهم، إذ يُمنع الصليب الأحمر الدولي من زيارتهم أو تحصيل معلومات عنهم»، يقول صفا. وجلّ ما يصل من أخبار عن هؤلاء «هو ما يتسرّب فقط من المعتقلين الفلسطينيين الذين يتعرفون في سجونهم إلى أسرى لبنانيين».

غير أن هذه التسريبات لم تشمل جميع الأسرى اللبنانيين، فوفقاً لرئيس «الجمعية اللبنانية للأسرى والمحرَرين»، أحمد طالب، وصلت «حتى أواخر العام الماضي، معلومات من الأسرى الفلسطينيين عن كل الأسرى الذين اختُطفوا خلال حرب 2024، باستثناء الأسير الجريح حسين كركي الذي يبقى مصيره الأكثر غموضاً، إذ لا معلومات عنه نهائياً». وفي الشهر الماضي، وصلت «معلومات تطمئن عن حال أربعة أسرى لبنانيين». لكنّ هذه المعلومات تخصّ من اختُطفوا في الحرب السابقة. أما الثمانية الذين اختُطفوا بعد 2 آذار الماضي، فـ«حتى اللحظة لم نردنا معلومات، بأن أحداً قد شاهدهم»، يوضح طالب.

> غابت البعثة اللبنانية عن اجتماعات مجلس حقوق الإنسان في جنيف

الجرح المفتوح

في المقابل، تقف السلطة متفرجةً على وجع هؤلاء. ورغم حثّها من قبل المنظمات والجمعيات التي تتابع ملفهم، ومنها «الجمعية اللبنانية للأسرى والمحررين» و«مركز الخيام لتأهيل ضحايا التعذيب»، على القيام بواجبها، إلّا أنها اختارت ألّا تفعل شيئاً، ولو لحفظ ماء وجهها. فبعد آخر زيارتين، وهما الوحيدتان، اللتان قامت بهما الجمعية إلى رئيس الجمهورية جوزيف عون ورئيس الحكومة نواف سلام، لم تحرّك السلطة ساكناً، رغم تقديم مُقترح إليه لـ«ماسسة الملف، باعتباره قضية وطنية تخص مواطنين لبنانيين»، يقول طالب. وقد وصل الانحدار بهذه السلطة إلى التخلّي، «فلا أحد من أركانها رفع هاتفاً للتواصل مع عوائل الأسرى». وحتى في اجتماع القصر الجمهوري مع البعثات الدبلوماسية، لم يتمّ التطرق إلى ملفهم، قبل أن تأتي الترجمة الفعلية لهذا التخلي في اتفاق الإطار.

وكانت «الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان» قد قدّمت، في إطار حثّ الدولة على القيام بواجبها، مُقترح قرار من عشرة بنود، أهمها «المطالبة بالإفراج الفوري وغير المشروط عن جميع المعتقلين اللبنانيين المحتجزين تعسّفاً من قبل إسرائيل، وتأكيد أن احتجاز المدنيين كرهائن أو لأغراض المقايضة محظور بموجب القانون الدولي ويُشكّل انتهاكاً جسيماً لحقوق الإنسان، ومطالبة إسرائيل بالامتثال الكامل للالتزاماتها بموجب اتفاقية جنيف الرابعة، بما في ذلك الامتناع عن نقل المعتقلين من لبنان إلى أراضيها، وضمان المعاملة الإنسانية وكل ضمانات المحاكمة العادلة لجميع المعتقلين، والسماح للجنة الدولية للصليب الأحمر بالوصول الفوري والمنتظم ومن دون عوائق إلى جميع المعتقلين اللبنانيين، والسماح لآليات حقوق الإنسان والآليات الإنسانية الأخرى ذات الصلة بالتحقّق من ظروف احتجازهم». هذا المُقترح رفعته الهيئة إلى مجلس الوزراء «بهدف اعتماده كمبادرة رسمية للدولة اللبنانية، وتكليف وزارة الخارجية والمغتربين بقيادة الجهود الدبلوماسية اللازمة لحشد الدعم الدولي لاعتماده خلال إحدى دورات مجلس حقوق الإنسان».

غير أن الدولة لم تأخذ بالقرار، إذ إنه في الأحوال الطبيعية «يُفترض أن تطلب الدولة اللبنانية إدراج القرار على جدول أعمال المجلس للتصويت عليه، لكن لم تطلب ذلك، وجلسات مجلس حقوق الإنسان شارفت على الانتهاء»، يقول القنطار، مع إشارته إلى أنه كان «من السهل التصويت عليه، في ظل وجود تجارب سابقة لقرارات كهذه». بالتوازي، تعمل الهيئة على مخططين بديلين، الأول الضغط لتنفيذ قرار المحكمة العليا الإسرائيلية والذي قضى بحظر قرار إلغاء زيارات الصليب الأحمر الدولي للأسرى الفلسطينيين، و«تضمين القرار الأسرى اللبنانيين». أمّا آخر البدائل، فهو النقاش المطروح حالياً بين الهيئة والجمعية والمنظمات الإنسانية لتفويض «الهيئة بوكالة قانونية تجيز لمنظمات ومحامين فلسطينيين الدفاع عن الأسرى اللبنانيين في المحاكم الإسرائيلية».

تضارب في أعداد الأسرى

لا يوجد رقم دقيق لعدد الأسرى اللبنانيين في السجون الإسرائيلية، مع تأرجح التقديرات بين 32 و38 أسيراً، واحتمال وجود أسرى أحياء، آخرين محسوبين ضمن مفقودي الأثر. رئيس «الجمعية اللبنانية للأسرى والمحررين»، أحمد طالب، يميل إلى الرقم الأول. ويقسّمهم على الشكل الآتي: في حرب 2024 وبعدها، تمّ «اختطاف تسعة مقاومين و11 مدنياً»، يُضاف إليهم «الأسير أحمد شكر استناداً إلى شهادة عائلته، وثلاثة أسرى من سنوات سابقة، هم الصياد محمد فران (2005) وعبدالله عليّان (1981) ويحيى سكاف (1978)». وفي حرب 2026، اختطف العدو ثلاثة مقاومين وخمسة مدنيين، ثلاثة منهم في 19 أيار الماضي، خلال فترة وقف إطلاق النار.

تقرير

بلدة فرون المنكوبة: لسنا حقل تجارب لأحد!

فَرَاس خَلِيفَة

لم تدمّر الغارات الإسرائيلية التي استهدفت وسط بلدة فرون منزل حسين مكي فحسب، بل اجتلت أيضاً مشروع زواجه الذي كان على الأبواب. يقول بحسرة: «كنت عم عقش هالبيت وبدّي انقل بنت الحلال... بس راح البيت». لم يقتصر أثر الحرب على خسارة المنزل، بل بات حسين مضطراً إلى قطع مسافة طويلة للوصول إلى بلدة قعقعية الجسر، بلدة خطيبته، بعدما دمّر الاحتلال الجسر الذي كان يربط بين شمال النهر وجنوبه، ومع استمرار توغّلات العدو باتجاه وادي الحجير حتى بعد وقف إطلاق النار. «الحمد لله نحنا بخير. الحجر بيهون قدّام أرواح الشهداء، ويسوانا ما يسوا هالضيعة واهلها»، يقول فيما يقف بين ركام منزله، ومنزل أهله، ومنازل الجيران التي «طحنتها» الغارات.

وسط كتلة هائلة من المباني المُدمّرة والمتصدّعة، كان بعض الأهالي يتنقّلون بين الأنقاض، لا يتفقّدون حجارة فحسب، بل يستعيدون تفاصيل حياة كاملة كانت تنبض هنا حتى وقت قريب. بقايا غرف الجلوس والطعام، ألعاب الأطفال وثيابهم وأحذيتهم قرب الأبواب المُخلّعة، ومراوة مُشطّاة تعكس صورة الخراب وجزءًا من قرية القنطرة شرق وادي الحجير. سيارات مدفونة تحت الركام، وأخرى قذفها العصف عشرات الأمتار، ومحالّ تجارية متضرّرة كانت تشكّل جزءاً من اقتصاد البلدة. بين اليمات رفع الأنقاض وشاحنات مُحمّلة بالألمنيوم والحديد، في مهنة فرضتها الحرب، تنتشر الشظايا ومُخلّفات القصف والحفر التي خلّفتها المدفعية الإسرائيلية، فيما يمتد خط طويل من المنازل المُهدّمة والمتضرّرة على الطريق المؤدّية إلى الغندورية وبرج قلاويه. في قلب هذا المشهد، كانت امرأة تقف أمام ركام منزلها، تضرب كفّاً بكفّ، فيما بدت الدبوب التي خلّفتها الحرب أعمق من أن تُرى بالعين.

جزبوا كل انواع الاسلحة

على أحد جدران المنازل المُدمّرة جزئياً كُتبت عبارة: «هنا احتدم الموت وكنّا أسياد النزال». يشير أحد أبناء البلدة إلى بقعة قريبة: «هنا استُشهد أخي وأحد أقربائنا. لم يغادرا فرون رغم كل القصف... هودي ولاد الأرض عن حق».

> **250 غارة جوية وأكثر من 500 قذيفة مدفعية أدّت إلى تدمير 200 منزل بالكامل من أصل 400**

يعرف أبناء البلدة أن للعدو «حساباً» قديماً مع فرون، يعود إلى سنوات «الحزام الأمني» في الثمانينيات، مروراً بمأثرة وادي الحجير في حرب تموز 2006، وصولاً إلى الحرب الأخيرة، التي عجز خلالها عن احتلال فرون والغندورية رغم محاولاته المتكرّرة.

وتشير التقديرات الأولية في البلدة إلى أن العدو الإسرائيلي شنّ نحو 250 غارة جوية على فرون، واستهدفها بأكثر من 500 قذيفة مدفعية، ما أدّى إلى تدمير نحو 200 منزل بالكامل من أصل 400، فيما تورّعت بقية المنازل بين مُدمّرة جزئياً ومتضرّرة، ولم يبقَ صالحاً للسكن سوى نحو 50 منزلاً عاد أصحابها لترميمها والإقامة فيها. كما لحقت أضرار جسيمة بالبنى التحتية، من شبكات المياه والكهرباء والطرقات والاتصالات، إضافة إلى خسائر كبيرة في المؤسسات التجارية، ونفوق أعداد كبيرة من المواشي والدواجن وخلايا النحل، واحتراق مساحات واسعة من أشجار الزيتون وتلف المحاصيل الزراعية، ما يجعل البلدة في عداد المناطق المنكوبة.

(الأخبار)

يستغرب أبناء فرون إدراج اسم بلدتهم ضمن ما يُسمّى «المناطق التجريبية»، رغم أنها ليست مُحتلة. يقول أحدهم بسخرية مريرة: «تجريبية؟ كل أنواع الأسلحة جرّبوها بفرون!». أن يتحدّث العدو عن فرون والغندورية كـ«منطقتين تجريبيتين» رغم أنهما ليستا تحت الاحتلال، فهذا يعني أنّه «يريد أن يختبر قدرته على فرض معادلات أمنية وعسكرية على المنطقة وسكانها، من دون أن يكون له وجود مباشر على الأرض، خصوصاً أنه يتوجّس من موقع البلدة الاستراتيجي المشرف على القرى المقابلة التي يحتلها الآن». ولأنّ فرون «بقيت عصيّة على العدو»، على ما يقول عباس برّي، الناشط السياسي والاجتماعي في البلدة، «يحاول الإسرائيلي فرض وقائع أمنية وميدانية من دون أن يكون قد انسحب فعلياً من أي مكان، وفي الوقت نفسه يوجّه رسالة إلى جمهوره حول مدى قدرته على فرض إرادته على قرارات السلطة اللبنانية».

ستظل عصيّة على الاحتلال

لم تكن فرون، بالنسبة إلى دانا مكي (27 عاماً)، مجرّد مكان وُلدت وترعرعت فيه، بل «بيتي وذاكرتي، وأول مكان تعلّمت فيه معنى الانتماء إلى الأرض». قبل الحرب، كانت حياتها مرتبطة بكل تفصيل في البلدة. تقول: «كنت حسّ إنو فرون جزء منّي، وإن كل زاوية فيها بتحمل ذكرى من طفولتي أو من حياتي، خصوصاً مع أبناء عمليّتي الشهداء، وحتى بعد استشهادهم ظلّوا حاضرين بكل مكان».

خلال الحرب، كان مجرّد سماع اسم فرون يوقظ فيها شعوراً بالغ الألم. «كنت حسّ إن حدا عم بينادي على جزء منّي. كل غارة كانها بتنزل على قلبي. وحتى لما كانوا يعلنوا اسم شهيد من فرون، كان الوجع يصير شخصياً، لأنو بضيعة متل فرون الكل بيعرف الكل».

لم تُضعِف الحرب علاقة دانا ببلدتها، بل زادتها تمسّكاً بها. لذلك، تستغرب تداول اسم فرون باعتبارها «منطقة تجريبية»، وترى أن «فرون لم تكن يوماً أرضاً بلا أهل أو بلا إرادة حتى تُعامل كأنها مساحة لاختبار المشاريع الأمنية. هي بلدة يسكنها أناس متمسّكون بأرضهم وهويتهم». وتختم بثقة تشبه يقين أبناء بلدتها جميعاً: «فرون لم تكن ولن تكون حقل تجارب لأحد. هي بلدة صمدت وقدّمت تضحيات كبيرة لتحافظ على وجودها وكرامتها، وستبقى عصيّة على الاحتلال».

لدعم عودة الناس لا «تطفيشهم»!

منذ اللحظة الأولى لتداول اسم فرون ضمن لائحة «المناطق التجريبية» المُقترحة، كان رئيس المجلس البلدي حسن برّي من أوائل الرافضين لهذا الطرح، معتبراً أنه «لزوم ما لا يلزم». في حديثه إلى «الأخبار»، يدعو برّي اللبنانيين إلى زيارة البلدة والاطّلاع على حجم الدمار الذي خلّفته الحرب، مؤكّداً أن «الأولوية يجب أن تكون لدعم عودة الأهالي وتعزيز صمودهم، لا لإطلاق توصيفات من قبيل السيطرة بالنار أو المناطق التجريبية، لأن مثل هذه التصريحات لا تؤدّي إلا إلى تأخير عودة السكان والحياة إلى البلدة».

لم يكن سهلاً على برّي الوقوف متفرّجاً على أبناء بلدته «مشتّتين» بعد وقف إطلاق النار، فسارع، بالتنسيق مع الجهات المعنية، إلى تحويل مبنى المدرسة الرسمية إلى مركز لإيواء العائدين، في مبادرة هي الأولى من نوعها في قضاء بنت جبيل بعد الحرب. ويضيف: «أهالي فرون متعطشون للعودة، لذلك كان لا بد من خطوة سريعة تؤمّن لهم مكاناً داخل بلدتهم. هم عملياً لا يزالون نازحين، لكن داخل ضيعتهم». لذلك، يناشد الوزارات والإدارات الرسمية والمنظمات الإنسانية تقديم الدعم العاجل للمركز، مشدّداً على أن «الهاجس الأساسي هو تهيئة الظروف التي تسمح بعودة جميع أبناء البلدة في أسرع وقت».

ويشدّد الناشطون من أبناء البلدة على أن المطلوب تأمين مقوّمات الحياة الأساسية للسكان «بما يشجّعهم على البقاء في بلدتهم ويحول دون تحقيق أهداف الاحتلال بإفراغها من سكّانها». ويشير هؤلاء إلى مجموعة خطوات ضرورية مثل إزالة الركام وتأهيل البنية التحتية والخدمات الأساسية وتأمين بيوت جاهزة للعائلات التي دُمّرت منازلها إلى حين إعادة الإعمار، وتقديم دعم عيشهم في قرية يعتمد جزء أساسي من سكانها على الزراعة وتربية النحل والمواشي، إضافة إلى «أعمال تجارية» أخرى وتحويلات المغتربين من أبنائها.

(الأخبار)

تقرير

السياحة بعد الحرب: قطاع يعيش على عطلة نهاية الأسبوع

رَضا صوايا

كشف فصل الصيف حجم الندوب التي تركتها الحرب على السياحة في لبنان. فالقطاع الذي لطالما أثبت قدرة استثنائية على التعافي بعد الأزمات، وجد نفسه في مواجهة واحدة من أقسى المحن، بعد مواجهته في السنوات الماضية تحديات لم تكن سهلة هي الأخرى، تحديداً الانهيار الاقتصادي وجائحة «كورونا».

فالحرب لم تكتفِ بمنع السياح والمغتربين من القدوم إلى لبنان، بل ألغت المهرجانات التي كانت تشكل محركاً أساسياً للحركة السياحية، ودفعت كثيراً من المؤسسات إلى العمل بأقل من نصف طاقتها أو الإقفال الجزئي، في محاولة لتخفيف الخسائر والحفاظ على استمراريتها. وإذا كانت الصورة تختلف نسبياً بين منطقة وأخرى، إلا أن القاسم المشترك بين الفنادق وبيوت الضيافة يتمثل في موسم صيفي يقتصر بمعظمه على عطلة نهاية الأسبوع، في حين تخلو أيام الأسبوع الأخرى من الزوار إلى حدّ بعيد.

فنادق تفتح أبوابها... ولكن بخسارة

يرسم نقيب أصحاب الفنادق، بيار الأشقر، صورة قاتمة للواقع الحالي، موضحاً أن نسبة الإشغال تراوح بين 5% و8% خلال منتصف الأسبوع، فيما ترتفع يوم السبت إلى نحو 20% كحدّ أقصى، بعدما كانت تصل في السنوات الطبيعية إلى نحو 80%. لمواجهة هذا التراجع، لجأت غالبية المؤسسات الفندقية إلى تقليص عملياتها، بحسب الأشقر. وعليه، باتت فنادق تضم 300 غرفة تشغل نحو 50 غرفة فقط، فيما تكتفي أخرى بتشغيل مطعم واحد من أصل ثلاثة. كما أن عدداً من الفنادق التي كانت تفتح أبوابها خلال موسم الصيف فقط، فضّلت عدم فتحها هذا العام بسبب ضعف الجدوى الاقتصادية.

في المقابل، يوضح الأشقر أن بعض الفنادق الكبرى تواصل العمل رغم الخسائر، للحفاظ على موظفيها الأساسيين الذين يصعب تعويضهم لاحقاً، إذ إن إدارة الفنادق وتشغيلها تتطلب خبرات متخصصة، لا يمكن استبدالها بسهولة عند عودة النشاط.

ولم تتوقف الخسائر عند المؤسسات، بل طاولت العاملين أيضاً، إذ يوضح الأشقر أن القطاع الفندقي كان يؤمّن بين 25 و30 ألف فرصة عمل موسمية خلال الصيف، إلا أن معظم هذه الفرص تبخرت هذا العام، فيما اضطرت مؤسسات كثيرة إلى تسريح جزء من موظفيها. ويشير إلى أن شريحة واسعة من العاملين تعتمد على «الإكراميات» أكثر من اعتمادها على الراتب، لكن اقتصار الحركة على يومين فقط في الأسبوع جعل حتى هذا المورد شبه معدوم.

ويلفت إلى أن الركود طاول حتى المناطق السياحية التقليدية، حيث بات النشاط يقتصر على عطلة نهاية الأسبوع، بينما تكاد الحركة تنعدم في باقي الأيام. ويضرب مثالاً بأحد أبرز فنادق جبل لبنان الذي سجل 12 حجزاً فقط يوم السبت، قبل أن يتراجع العدد إلى 6 غرف يوم الإثنين.

بيوت الضيافة... نصف موسم وخسائر مستمرة

الصورة ليست أفضل في قطاع بيوت الضيافة، بحسب رئيس نقابة أصحاب ومشغلي بيوت الضيافة رمزي سلمان، الذي يؤكد أن جميع بيوت الضيافة في الجنوب والبقاع، والتي تمثل نحو 20% من إجمالي بيوت الضيافة في لبنان، توقفت عن العمل بالكامل، حتى وإن لم تكن قد تعرضت للتدمير المباشر، مع إشارته إلى غياب إحصاءات دقيقة حتى الآن حول واقعها.

(هيثم الموسوي)

ويوضح سلمان أن الحرب تركت آثارها على جميع بيوت الضيافة، إلا أن حجم الضرر يختلف بين منطقة وأخرى، فهناك مناطق خرجت عملياً من الخريطة السياحية، وأخرى تعمل جزئياً، فيما بقيت بعض المناطق أكثر نشاطاً، لكنها تأثرت بالظروف العامة.

وبحسب تقديره، يعمل القطاع اليوم بنحو نصف قدرته، ويمكن الحديث عن «نصف موسم» فقط، حتى في المناطق التي تعد الأكثر أماناً ونشاطاً سياحياً، حيث لا تتجاوز الحركة في أفضل الأحوال 60% مقارنة بالمواسم الطبيعية.

وتكمن المشكلة الأساسية، بحسب سلمان، في أن نحو 90% من بيوت الضيافة تعتمد على اللبنانيين المقيمين والمغتربين. ولذا، أدى إلغاء أعداد كبيرة من حجوزات المغتربين إلى توجيه ضربة مباشرة للقطاع. كما توقفت مشاريع جديدة كانت قيد الإنشاء أو التخطيط بسبب الظروف الأمنية والاقتصادية.

ويلفت إلى أن أصحاب بيوت الضيافة واجهوا أيضاً أعباء مالية كبيرة نتيجة ارتفاع كلفة الصيانة والتجهيز، ولا سيما للبيوت الكبيرة التي تقدم خدمات متطورة، ما دفع العديد منهم إلى تمويل عمليات الصيانة من أموالهم الخاصة للحفاظ على جاهزية منشآتهم، رغم ضعف الإيرادات.

ولم يكن الاستغناء عن الموظفين بعيداً عن هذا القطاع أيضاً، إذ اضطرت بيوت ضيافة كبيرة إلى تقليص عدد العاملين لديها بهدف الصمود في موسم التقشف... أظهر الحديث مع عدد من العائلات التي اعتادت سنوياً التنقل بين القرى والمناطق المختلفة وتجربة بيوت الضيافة كجزء من نمط سياحي داخلي بات شائعاً، حجم الضغوط الاقتصادية والقلق من المستقبل.

يشير هؤلاء إلى أن الإقامة لليلة أو أكثر في بيت ضيافة أو فندق لم تعد قراراً سهلاً كما في السابق، في ظل المخاوف الاقتصادية وعدم اليقين المرتبط بالمرحلة المقبلة. فإلى جانب كلفة الإقامة نفسها، هناك مصاريف مرافقة تشمل التنقل والطعام والأنشطة والترفيه، وهي نفقات بات كثيرون يحبذون تجنّبها أو تأجيلها، مفضلين الاحتفاظ بالسيولة المالية تحسباً لأي طارئ أو ظرف استثنائي قد يفرض نفسه.

ويقول بعض هؤلاء إن الخيار هذا الصيف يتركز على زيارة المناطق خلال النهار والعودة إلى المنزل في المساء، فبدلاً من حجز غرفة وقضاء عطلة نهاية أسبوع كاملة، باتت «الكزدورة» ليوم واحد، مع غداء أو جولة قصيرة، البديل الأكثر انتشاراً لدى شريحة واسعة من العائلات.

> **نسبة الإشغال في الفنادق تراوح بين 5% و8% خلال منتصف الأسبوع، وترتفع يوم السبت إلى نحو 20% كحدّ أقصى**

غياب المهرجانات... خسارة مضاعفة للموسم السياحي

لم يكن تأثير الحرب مقتصراً على تراجع أعداد الوافدين، بل امتد أيضاً إلى إلغاء معظم المهرجانات والاحتفالات الصيفية التي كانت تشكل رافعة أساسية للحركة السياحية في لبنان.

ويؤكد كل من الأشقر وسلمان أن هذه المهرجانات كانت تنعش السياحة الداخلية وتستقطب في الوقت نفسه أعداداً كبيرة من الزوار العرب، ولا سيما من العراق والأردن ومصر وسوريا، إذ كانت ترتبط ببرامج سفر وإقامات تمتد لأيام في الفنادق والمنتجعات وحجوزات في المطاعم.

بين نيسان وأيار... موجة إلغاءات سبقت الصيف

يكشف نقيب أصحاب الفنادق بيار الأشقر أن المؤشرات السلبية بدأت بالظهور منذ شهري نيسان وأيار، حين تلقى القطاع معلومات تفيد بأن أكثر من 50% من اللبنانيين المغتربين في أستراليا وكندا والولايات المتحدة ألغوا حجوزات سفرهم إلى لبنان.

ويعود ذلك، بحسب الأشقر، إلى أن معظم المغتربين يحجزون تذاكر سفرهم خلال فصل الشتاء للاستفادة من الأسعار المنخفضة. ومع تصاعد المخاوف الأمنية، وجد كثيرون أنفسهم أمام مهلة محددة لإلغاء الحجوزات، إذ إن عدم الإلغاء ضمن تلك المهلة كان سيكبدهم غرامات مالية.

والمغترب الذي ألغى تذكرته لم يعد قادراً بسهولة على إعادة الحجز لاحقاً، لأن أسعار بطاقات السفر ترتفع بشكل كبير كلما اقترب موسم الصيف. وهو فارق لا تستطيع كثير من العائلات تحمله، ما أدى عملياً إلى خسارة شريحة واسعة من الزوار الذين كانوا يشكلون العمود الفقري للموسم السياحي اللبناني.

تقرير

توقيف عقيد في قوى الأمن الداخلي

قبل أسابيع، تكشّفت داخل المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي فضيحة فساد. وعلى خلفيتها، تمّ توقيف عقيد من آل (د.)، تمتلك عائلته شركة لاستيراد المواد النفطية وبيعها داخل لبنان.

القصة بدأت بتقدم الشركة قبل أشهر إلى مناقصة استدرجتها المديرية لشراء مازوت وتوزيعه على جميع ثكناتها ومقراتها. وكان عرض الشركة مغرياً جداً، ما دفع المديرية إلى التعاقد معها.

وبالفعل، كانت العلاقة بين الطرفين «ممتازة»، إذ التزمت صهاريج الشركة بضخ المازوت داخل الثكنات بالمواعيد المتفق عليها، حتى كانت المفاجأة في عاليه، حينما أصرّ أحد الضباط على مراقبة آلية إفراغ المازوت ومرافقة العمال في مهمتهم، ليلحظ أن الصهريج مزوّد بخرطومين، الأول يفرغ المازوت والثاني يعيده إلى خزان الصهريج (Retour). دفع ذلك الضباط إلى التأكد من كمية المازوت التي أُفرغت في خزانات الثكنة، ليتبيّن أنها لا تتلاءم مع الكشوفات التي تسلّمها.

وعلى الفور، قام بإبلاغ قائد سرية عاليه، الذي قام بدوره بالاتصال برئيس وحدة الإدارة المركزية، العميد سليم عبده. فتأكد الأخير من حصول التلاعب، ومن ثمّ أبلغ المدير العام، اللواء رائد عبد الله، الذي طلب فتح تحقيق بإشراف شعبة المعلومات. وبعد استجواب سائقي الصهاريج، اعترف هؤلاء بأن العقيد (د.) هو من طلب منهم ذلك.

هذه القضية أُثيرت في اجتماع مجلس قيادة المديرية. فشدّد عبد الله والضباط الأعضاء على ضرورة توقيف العقيد ومواصلة التحقيقات حتى النهاية. وبالفعل، تمّ توقيف العقيد الذي اعترف بدوره بأنه من يدير الشركة من تحت الطاولة. ويقف وراء فكرة المشاركة في المناقصة وتقديم سعر مُغرٍ. كما تبيّن أيضاً عبر تعقّب حسّاباته المصرفية أنها تتضمن مبالغ ضخمة. وعلمت «الأخبار» أن العقيد لا يزال موقوفاً منذ أكثر من 20 يوماً بإشارة القضاء العسكري، ما سيعرضه حكماً للطرد، علماً أن ضغوطات سياسية مورست على عبد الله من أجل إطلاق سراحه قبل انقضاء المدّة التي تعرضه للطرد، من دون أن ينصاع إليها.

(الأخبار)

تقرير

الحرب والهجرة تغيّران شكل المجتمع
سكان العام 2045: اللبنانيون أقل من 50 %

(أرشيف)

7246
هو عدد الوفيات الإضافية التي سجّلها لبنان عام 2025 بالمقارنة مع عام 2024

1496
ولادة خسرها لبنان بين عامي 2024 و2025 بسبب تراجع الإقبال على الزواج

زينب عوض

في لبنان، تتجاوز تكلفة الحرب على المجتمع الخسائر المادية التي تسبّبها الغارات والقصف المعادي، فالحرب الإسرائيلية المستمرة منذ نحو 3 سنوات تعيد تشكيل المجتمع من الداخل، عبر ضرب التوازن الديمغرافي فيه، وتفكيك بنيته الاجتماعية، وفرض تحوّلات قسرية على خيارات الأفراد والجماعات، ما يؤدّي إلى ترك آثار عميقة على التركيبة السكانية في المديَيْن القريب والبعيد.

وحتى اليوم، لم تصل الحرب إلى مشهدها الأخير، لذا التكلفة البشرية مُرشّحة للزيادة، إذ إن عدّاد الشهداء والجرحى والمفقودين لم يتوقف عن الارتفاع. فمع كلّ عملية تفتيش في القرى الأمامية جنوباً تعثر فرق الإسعاف على ضحايا جُدد تحت الأنقاض، فضلاً عن عدم توقف العدوان الإسرائيلي، ما يزيد من أعداد الضحايا. وهنا، تشير التقديرات إلى أن عدد الشهداء المُعلَن منذ بداية العدوان عام 2023 وحتى 2026 تجاوز 12 ألف شهيد، من دون احتساب من قد يُعثر عليهم لاحقاً.

بحسب الباحث في الديموغرافيا شوقي عطية، فإن المقاربة السكانية لهذه الحرب تحتاج إلى قراءة دقيقة بعيداً عن الانطباعات السريعة. «على الرغم من ضخامة عدد الشهداء، لا يمكن مقاربة المسألة ببساطة بالحديث عن نقص في عدد الرجال»، يقول عطية، ومن بعدها بناء توجه يقود إلى الاستنتاج بوجود أزمة زواج، أو ارتفاع كبير في عدد الأرامل. ويوضح عطية أن البيئة الأكثر تضرراً هي بيئة اجتماعية محدّدة، أي الطائفة الشيعية، والتي تشير الترجيحات إلى أنّ عدد أفرادها يصل إلى نحو مليون و300 ألف نسمة.

تتركّز الفئة العمرية لغالبية الـ12 ألف شهيد ضمن الفئة الشابة، ولا سيما بين الذكور. لكنّ التأثير الديمغرافي المباشر لا يُختزل بعدد الشهداء فقط. فلبنان يسجّل سنوياً في المعدّل نحو 27 ألف حالة وفاة طبيعية. وعندما يُضاف إلى هذا الرقم ما يقارب 4 آلاف شهيد سنوياً كمعدّل وسطي بين عامي 2024 و2026، يصبح البلد أمام ارتفاع إضافي نسبته 20% في معدّل الوفيات السنوي. هذه النسبة، وإن بدت محدودة على مستوى إجمالي السكان، إلا أنها مرتفعة جداً عند احتسابها داخل بيئة اجتماعية محدّدة، أو ضمن فئات عمرية بعينها، خصوصاً فئة الشباب الذكور في سنّ الزواج والعمل والإنجاب.

تأثيرات الحرب ظهرت واضحة في أرقام مديرية الأحوال الشخصية في وزارة الداخلية، إذ تراجع عدد الزيجات المُسجّلة من 8541 عقد زواج عام 2023 إلى 6894 عقداً عام 2024. أمّا في عام 2025، فتعافت الأرقام نسبياً، وارتفع عدد الزيجات لتحتاج إلى قراءة دقيقة بعيداً عن الانطباعات السريعة. «على الرغم من ضخامة عدد الشهداء، لا يمكن مقاربة المسألة ببساطة بالحديث عن نقص في عدد الرجال»، يقول عطية، ومن بعدها بناء توجه يقود إلى الاستنتاج بوجود أزمة زواج، أو ارتفاع كبير في عدد الأرامل. ويوضح عطية أن البيئة الأكثر تضرراً هي بيئة اجتماعية محدّدة، أي الطائفة الشيعية، والتي تشير الترجيحات إلى أنّ عدد أفرادها يصل إلى نحو مليون و300 ألف نسمة.

تتركّز الفئة العمرية لغالبية الـ12 ألف شهيد ضمن الفئة الشابة، ولا سيما بين الذكور. لكنّ التأثير الديمغرافي المباشر لا يُختزل بعدد الشهداء فقط. فلبنان يسجّل سنوياً في المعدّل نحو 27 ألف حالة وفاة طبيعية. وعندما يُضاف إلى هذا الرقم ما يقارب 4 آلاف شهيد سنوياً كمعدّل وسطي بين عامي 2024 و2026، يصبح البلد أمام ارتفاع إضافي نسبته 20% في معدّل الوفيات السنوي. هذه النسبة، وإن بدت محدودة على مستوى إجمالي السكان، إلا أنها مرتفعة جداً عند احتسابها داخل بيئة اجتماعية محدّدة، أو ضمن فئات عمرية بعينها، خصوصاً فئة الشباب الذكور في سنّ الزواج والعمل والإنجاب.

تأثيرات الحرب ظهرت واضحة في أرقام مديرية الأحوال الشخصية في وزارة الداخلية، إذ تراجع عدد الزيجات المُسجّلة من 8541 عقد زواج عام 2023 إلى 6894 عقداً عام 2024. أمّا في عام 2025، فتعافت الأرقام نسبياً، وارتفع عدد الزيجات لتحتاج إلى 7823 زواجاً مُسجّلاً، في ما يشبه حركة تعويض اجتماعية محدودة بعد مرحلة من التأجيل القسري.

من جهته يعلّق المتخصّص في الشؤون الاجتماعية والسياسية طلال عتريسي على أرقام الزواج، ويقول إنّ «هذا المسار طبيعي في المجتمعات التي تمر بالحروب، إذ إن الزواج يرتبط أساساً بعوامل الاستقرار والطمأنينة وبناء المستقبل، بينما الحرب تعني العكس تماماً». لذلك يؤكّد عتريسي تراجع معدّلات الزواج في الحروب بصورة تلقائية، خصوصاً مع النزوح والدمار وارتفاع أعداد الشهداء. إلا أن هذا التراجع لا يعني بالضرورة تحوّلاً دائماً، إذ «تميل المجتمعات إلى استعادة أنماطها التقليدية بعد انتهاء الحرب وعودة الحدّ الأدنى من الاستقرار». غير أن التحدّي لا يتوقف عند الزواج، بل يمتد إلى مسألة الإنجاب والتوازن السكاني.

في هذا السياق، تُظهر بيانات الولادات والوفيات في لبنان استمرار النمو الطبيعي للسكان، وإن بوتيرة متراجعة. بحسب أرقام مديرية الأحوال الشخصية في وزارة الداخلية، ارتفع عدد السكان إلى نحو 38 ألف شخص

> **تتركّز الفئة العمرية لغالبية الـ12 ألف شهيد ضمن الفئات العمرية الشابة، ولا سيما بين الذكور**

عام 2024، بعد أن كانت الزيادة 40 ألف شخص عام 2023. أمّا في عام 2025 فاستمرّ النمو السكاني، إنّما بشكل أقل، إذ بلغ الفارق بين الولادات والوفيات 37 ألف شخص.

وتشير هذه الأرقام إلى أنّ الولادات لا تزال أعلى من الوفيات بفارق مريح نسبياً، لكنّ المشكلة الأساسية تكمن في عامل آخر أكثر تأثيراً، وهو الهجرة. بحسب التقديرات، يصل متوسط خسارة لبنان سنوياً إلى نحو 75 ألف شخص بسبب الهجرة أو الاستعداد الجدّي لها، وغالبيتهم من فئة الشباب. وهذا يعني أن النزيف السكاني الحقيقي لا يحصل فقط بسبب الحرب أو الوفيات الطبيعية، بل أيضاً بسبب خروج الفئة الأكثر إنتاجاً وإنجاباً من البلاد.

هنا، يحذّر عطية من أن لبنان يتجه نحو مرحلة ديمغرافية حساسة إذا استمرت المؤشرات الحالية على حالها. فبحسب تقديراته، قد يبدأ لبنان قبل عام 2049 بالدخول في مرحلة انكماش سكاني فعلي، حيث يبدأ عدد اللبنانيين بالتراجع بدل النمو، وهذه الترجيحات مُرشّحة لتكون أسوأ بكثير بسبب تداعيات الحرب. والأخطر، أنه إذا استمر النزوح السوري بالمعدّلات الحالية بالتوازي مع الهجرة اللبنانية المرتفعة، فقد تصبح نسبة اللبنانيين قبل عام 2035 أقل من 50% من المقيمين على الأراضي اللبنانية.

في هذا السياق، يبرز سؤال جوهري: كيف يمكن تعويض الخسائر البشرية؟

يرى عطية أن التعويض ممكن، لكن ليس عبر مقاربات انفعالية أو حلول غير واقعية. فطرح تعدّد الزوجات، على سبيل المثال، لا يبدو خياراً عملياً في لبنان اليوم، لا اجتماعياً ولا اقتصادياً. فالعائلة التي كانت تنجب 10 أولاد في العقود السابقة كانت تعيش في بيئة اقتصادية مختلفة تماماً، بينما باتت كلفة تربية الأطفال وتعليمهم اليوم مرتفعة جداً.

ولفهم هذه المسألة، يستحضر عطية التجربة الفلسطينية. ففي الانتفاضة الفلسطينية الأولى بين عامي 1988 و1993، برزت ظاهرة «ديمغرافية لافتة وصفها بـ«المقاومة بالرحم»، حيث ارتفعت معدّلات الإنجاب بشكل كبير بالتزامن مع تصاعد المواجهات. وفي غزة تحديداً، بلغ معدّل الإنجاب مستويات مرتفعة جداً، إذ وصل متوسط إنجاب المرأة الواحدة إلى نحو 9 أطفال، في محاولة لتعويض أعداد الشهداء والحفاظ على الاستمرارية السكانية.

لكنّ هذه الظاهرة، رغم رمزيّتها، خلّفت لاحقاً أعباء اجتماعية واقتصادية قاسية على الأسر الفلسطينية، مع صعوبة تأمين التعليم والرعاية ومتطلّبات الحياة للأعداد الكبيرة من الأطفال. ولهذا، لم تتكرر التجربة نفسها بالزخم ذاته خلال انتفاضة عام 2000.

انطلاقاً من هذه المقارنة، يرى عطية أن لبنان لا يحتاج إلى حلول استثنائية بقدر حاجته إلى سياسات متوازنة. فرفع معدّل الإنجاب إلى حدود ثلاثة أطفال لكل أسرة، بالتوازي مع دعم الزواج والحدّ من الهجرة، قد يكون كافياً لتعويض الخسائر البشرية في السنوات العشر المقبلة. ويتقاطع هذا الطرح مع رؤية عتريسي، الذي يرى أن أيّ تعويض فعلي للخسائر يحتاج إلى استراتيجية وطنية متكاملة تشمل دعم الزواج، وتقديم حوافز اجتماعية واقتصادية للإنجاب، إضافة إلى برامج تثبّت الشباب في لبنان وتمنع هجرتهم.

كلمات متقاطعة 5126

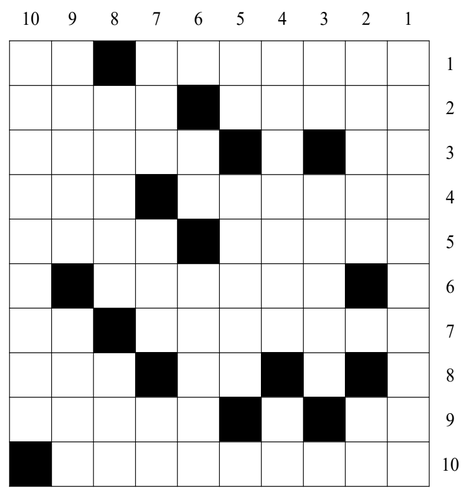

أفقيا

1- آخر ملوك مصر – 2- آخر ملوك ليديا – من المعادن – 3- قلب – معركة شهيرة إنتصر فيها المسلمون على مشركي قريش – يهرب – 4- إحدى القارات – مغارة لبنانية – 5- صوت الرصاص – للتفسير – للإستفهام – 6- الراغب في الوصول الى مركز رفيع – 7- بلدة لبنانية في قضاء بنت جبيل – نهار وليل – 8- عطوف وغفور – حائط يحيط بمنزل – 9- عسل – قبيلة عربية – نوتة موسيقية – 10- مغنية إشتهرت بضرب العود عاشت في الحجاز

عمودياً

خلاف أكثر – السفلة من الناس – 2- عاصمة أميركية – من الحبوب – 3- طعم الحنظل – مواطنة من منطقة روسية – 4- عائلة ممثلة ومغنية أميركية من اصول لاتينية – قل ماء الينبوع – 5- دولة أميركية – مصيبة وحلول الشر – 6- الحمام البريّ – 7- للمساحة – جبل لبناني – نوتة موسيقية – 8- جنب الطريق للمشاة – قبل اليوم – 9- ضد خالفهم – وكالة أنباء عربية – 10- من المعالم الأثرية الهامة في غرناطة إسبانيا

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

انجرليك – ما – 2- نيسان – سراب – 3- طب – اليمن – 4- واشنطن – ايا – 5- نلندا – مدلّ – 6- أولادي – 7- الكزبرة – دو – 8- هبّ – بوم – 9- دع – الطريّ – 10- نزار قبّاني

عمودياً

انطوني ايدن – 2- نيبال – عز – 3- جس – شناكل – 4- راوندوز – شر – 5- لن – طالبه – 6- ان – أرباب – 7- كسل – مدة – لا – 8- ريادي – بطن – 9- ماميل – دوري – 10- ابن الرومي

sudoku 5126

3					4	5		8
1	8		2	3		4		
2								
			3		7			1
6		4		1		3		9
			9		6			2
				2	1		8	
	5					6	1	7
7		8	5					4

حلول الشبكة السابقة

5	1	7	9	3	4	6	8	2
3	8	4	1	6	2	7	9	5
9	6	2	7	8	5	3	1	4
8	2	1	6	5	3	4	7	9
4	3	6	8	9	7	2	5	1
7	5	9	4	2	1	8	3	6
2	9	8	5	7	6	1	4	3
6	4	5	3	1	8	9	2	7
1	7	3	2	4	9	5	6	8

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

كلمة السر 423

كلمة السر من 7 حروف: من أدوات الجزّار

التقطيع – بلاطة – توزيع – جزّار – جلود – حاد – خوارزمية – رقبة – سكين – شفرات – شكل – صدأ – عظم – غضروف – فرم – قصاب – لحم – ماكينة – مدية – مقبض – مسن – نصل – وزن

ا	ا	ل	ت	ق	ط	ي	ع	ش	ب
خ	و	ا	ر	ي	ف	ل	ة	ف	ا
ن	س	ج	ل	و	د	ن	ة	ر	ص
م	ص	ن	س	م	ك	ا	ي	ا	ق
س	ظ	ل	ط	ا	م	ب	د	ت	ف
ع	ك	ع	م	ل	ق	ل	م	ر	م
ي	ر	ي	و	ك	ب	ا	م	ح	ج
ت	ق	ن	ن	ش	ض	ط	ل	د	ز
ز	ب	ز	ص	د	أ	ر	ة	ح	ر
و	ة	و	ف	و	ر	ض	غ	ح	ت

حلول الشبكة السابقة: جاك السفاح

عملية حسابية 423

شروط اللعبة: ضع الارقام المناسبة من 1 الى 99 في المربعات الفارغة للوصول الى حل العملية الحسابية

	–	17	٪		=	11
+	■	X	■	X	■	
	X		X	4	=	64
٪	■	٪	■	٪	■	
	X		X		=	20
=	■	=	■	=		
13		34		8		

حلول الشبكة السابقة

21	+	42	٪	3	=	21
X	■	٪	■	X	■	
4	X	6	–	5	=	19
٪	■	X	■	X	■	
6	X	9	٪	2	=	27
=	■	=	■	=		
14		63		30		

شبكة العنكبوت 423

إعداد نعوم مسعود

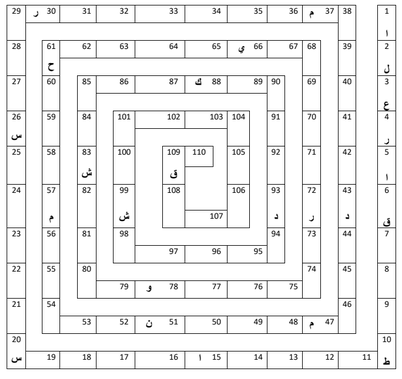

1 – 6 دولة عربية
6 – 20 رئيس يوناني راحل
18 – 23 دولة افريقية
22 – 30 لاعب كرة قدم الماني
30 – 34 ملكة أردنية
34 – 43 أول عمل مسرحي للأخوين رحباني عام 1957 في بعلبك
42 – 51 فيلسوف فرنسي راحل من اعماله « الى اين يسير العالم؟ »
50 – 61 اغنية للفنان السوري شادي جميل
60 – 66 ممثل مصري راحل من أفلامه « ايام السادات »
65 – 68 من الفاكهة
68 – 72 يتحدث مع جليسه ليلاً
71 – 75 عبارة تُقال للضيف بمعنى اهلاً وسهلاً
74 – 78 مدينة تونسية تأريخية تشتهر بقصورها القديمة
77 – 85 من الأزهار يستخرج منها الزيت
84 – 88 عود تنظف به الأسنان
87 – 93 جامعة لكتيبة
93 – 102 بلدة حدودية تعتد على نخوم الحدود اللبنانية السورية في قضاء راشيا
102 – 110 قائد فرقة موسيقية لبناني راحل كان تقيباً للموسيقيين

حل شبكة العنكبوت السابقة

النبيذ – ذهب مع الريح – حمزة بن عبد المطلب – بريدج تاون – أونتاريو – ريو دي جانيرو – روسيني – نيو مكسيكو – كوكيا – بارنتس – تسمانيا – نيالا – ابو نصر الفارابي – بيريت – تازة خورماتو – تونس – نسور – ورداية

شروط اللعبة

شبكة العنكبوت تتألف من 110 خانات مرقمّة وداخل بعض الخانات تتواجد أحرف تساهم في تسهيل الحل بعد الإجابة على الأسئلة الموجودة أسفل الشبكة. الشبكة تعمل مثل عقارب الساعة إبتداءً من الرقم 1 الى الرقم 110

مشاهير 5126

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ممثلة أميركية ومغنية وراقصة (1932-2016). إشتهرت بدورها في فيلم « الغناء في المطر »
1+2+7+5+8 = عملة عربية ■ 3+9+11+4 = أرجوك بالأجنبية ■ 10+6 = من أعضاء الجسم

حل الشبكة الماضية: **ولي الدين يكن**

على الغلاف

ماوراء الصراع على «هرمز»

أميركا تكافح لمنع تثبيت هزيمتها

طهران - **محمد خواجوئي**

يؤكّد ما جرى في الأسابيع اللاحقة لتوقيع «مذكّرة التفاهم» بين إيران والولايات المتحدة، ولا سيما في الأيام الأخيرة، أن الطرفين أبعد ما يكونان عن دخول مرحلة التهدئة والتسوية، بل قد يشير إلى استمرار النزاع بينهما، إنما بأشكال مختلفة. فالاشتباكات العسكرية في الخليج لا تزال مستمرة، والخلافات حول آلية عبور السفن في مضيق هرمز تتصاعد، فيما التوتّرات المُتّصلة بلبنان تحتدم، والسجال بين الطرفين حول نطاق التزاماتهما بمذكّرة التفاهم يدخل طوراً جديداً.

هنا، قد يبدو أن جذور الأزمة الراهنة تكمن في الخلاف حول تفسير بعض بنود مذكّرة التفاهم أحياناً؛ فعلى سبيل المثال، في ما يتّصل بإدارة مضيق هرمز، ترى إيران أن الترتيبات المنصوص عليها يجب أن تُنفّذ على أساس الآليات التي ترتئيها هي، في حين لا توافق الولايات المتحدة على هذا الطرح، وتسعى إلى فرض بديل منه. بيد أن التدقيق في ما وراء التوترات الحالية يبيّن أن ما يجري الآن، هو في الواقع نزاع على معالم النظام الإقليمي الذي يُفترض أن يتشكّل ويترسّخ بعد الحرب، والذي سيتمّ فيه تحديد مكانة كلّ لاعب رئيس، ونطاق نفوذه، وحصّته من السلطة، وأدوات الضغط التي يمتلكها للسنوات المقبلة.

وعليه، يسعى الطرفان، خلال مهلة الستين يوماً لتنفيذ مذكّرة التفاهم، وقبل بلوغ اتفاق نهائي، إلى تعزيز موقعيهما وانتزاع اليد العليا، تمهيداً للمرحلة التالية. فالولايات المتحدة تريد تقليص قدرات الضغط والنفوذ التي تمتلكها إيران، ومنعها من توظيف مكاسب الحرب في تثبيت موقع دائم ومتقدّم داخل المعادلات الإقليمية. وفي المقابل، تحاول طهران تحويل الامتيازات التي تعتقد أنها انتزعتها، سواء في ميدان الحرب أو في متن التفاهم، إلى مواقع ثابتة وغير قابلة للتراجع.

ومن هنا، فإن كلّ بند في مذكّرة التفاهم يمكن أن يتحوّل، في سياق المفاوضات النهائية، إلى أداة ضغط، أو مساومة، أو إعادة تعريف لتوازن القوى. وفي هذا الإطار، وفي ما يتّصل بملف مضيق هرمز مثلاً، يبدو أن الصراع بات حول من يملك الحق في رسم قواعد الأمن والملاحة في ذلك الممرّ الحيوي؟ إذ تسعى الولايات المتحدة، بدعوى «حرية الملاحة»، وعبر التعاون مع سلطنة عُمان، إلى تثبيت مسار عبور بديل على الحافة الجنوبية للمضيق، وتقليص ارتباط حركة الملاحة البحرية بالآليات التي تعتمدها إيران؛ وهو ما لا يمكن أن تَقبله الأخيرة. فالمسألة بالنسبة

> **ما يظهر في مضيق هرمز ولبنان مؤشّر إلى تنافس بين طهران وواشنطن على التأثير في النظام الإقليمي**

إلى طهران لا تقتصر على تحصيل الرسوم، أو مراقبة السفن، أو فرض قيود ظرفية، بل تتمحور حول الاعتراف بدورها الجيوسياسي في واحد من أهم الممرّات الحيوية للطاقة والتجارة العالمية، والتسليم بحيازتها منجزاً استراتيجياً، من شأن تثبيته أن يعزّز مكانتها الإقليمية في نظام ما بعد الحرب. ومن هنا، تَنظر إيران إلى تثبيت المسار البديل من دون موافقتها أو مشاركتها، بوصفه إضعافاً لإحدى أهم أوراق الضغط لديها.

ويمكن رصد نمط مماثل في الملف اللبناني أيضاً؛ إذ فُسّر إدراج اسم لبنان في نص مذكّرة التفاهم، في نظر العديد من المراقبين، بوصفه أحد أهمّ مكاسب إيران في هذه الوثيقة، واعترافاً ضمنياً بدورها ومكانتها في أحد أكثر الملفات الإقليمية حساسية. غير أن الولايات المتحدة سعت، على خطّ موازٍ، إلى تحييد هذا الامتياز أو تقليصه. ومن وجهة نظر طهران، قد يكون تسارع وتيرة المحادثات بين السلطة اللبنانية وإسرائيل، محاولة لتجاوز دور الجمهورية الإسلامية، وتقليص تأثيرها في المعادلة المستقبلية المتّصلة بلبنان.

على أن الضغط الأميركي الرامي إلى تقييد نطاق تنفيذ الاتفاق، لا يُعزى إلى مجرّد انعدام الثقة التقليدي بإيران، أو الرغبة في منعها من تسييل مكاسبها فحسب، بل مردّه أيضاً إلى قلق حلفاء واشنطن الإقليميين من أن يفضي التفاهم الإيراني - الأميركي في نهاية المطاف، إلى ترسيخ دور طهران في المعادلات الأمنية للمنطقة. ويتعلّق هذا القلق، على وجه الخصوص، بأن أيّ إقرار بدور رسمي أو شبه رسمي لإيران في مضيق هرمز أو لبنان أو غيرهما من الملفات الإقليمية، سيمثّل إخلالاً بالتوازن المنشود الذي تسعى إليه تلك الدول. ولذا، تجد الولايات المتحدة نفسها مضطرة إلى مراعاة حساسيات شركائها الإقليميين وملاحظاتهم.

إزاء ذلك، يبقى السؤال الجوهري: إلى أين سيمضي مسار استحضار أوراق الضغط المتبادلة هذا؟ في الظروف الراهنة، لم تُغلق أبواب التفاوض تماماً، ويبدو أن أياً من الطرفين لا يرغب في الانهيار الكامل للمسار الدبلوماسي. لكن في الوقت نفسه، تختبر طهران وواشنطن الخطوط الحمر لبعضهما؛ وهو ما يمثّل وضعاً بالغ الخطورة، إذ قد لا يرغب أيّ من الطرفين في حرب شاملة، لكنّ كليهما، خطوة بخطوة، ونتيجة لتراكم الردود المتبادلة، قد يُستدرجان نحو ذلك السيناريو عينه.

ويتفاقم الخطر حين يحضر عامل ثالث كإسرائيل في المشهد؛ وهي لاعب يعارض أساساً أيّ مسار دبلوماسي بين الولايات المتحدة وإيران، ولا يزال يعتقد أن بالإمكان، عبر مواصلة الحرب على محور المقاومة، التحوّل إلى القوة المهيمنة في المنطقة. وفي ظروف كهذه، يمكن للتوترات المحدودة بين واشنطن وطهران أن تتحوّل إلى فرصة لئل أبيب لتخريب المسار الدبلوماسي برمّته.

الحرب المحدودة قد تنزلق إلى صراع أوسع بسبب إسرائيل (هنّ الوبير)

القتال الحالية بين الولايات المتحدة وإيران من نهايتها»، مع توقّع عودة الطرفين إلى المسار الدبلوماسي، وذلك بحسب المحلل العسكري في «القناة 13» العبرية، الون بن دافيد. وأضاف بن دافيد أن إسرائيل تقدّر أيضاً «إمكان استمرار الوضع لمدة طويلة من دون اتفاق، ومن دون حرب في الوقت نفسه».

وفي مؤشر ميداني لافت يصبّ في الاتجاه نفسه، غادر، للمرة الأولى منذ اندلاع الحرب على إيران، سرب طائرات الشبح الأميركية من طراز «إف-22 رابتور»، الذي شارك في الهجمات على الجمهورية الإسلامية، بقناة تل أبيب عن «مخطط إيراني» لاغتيال الرئيس الأميركي، دونالد ترامب. وجاء ذلك في وقت برزت فيه تقديرات إسرائيلية بقرب انتهاء جولة القتال الحالية، وعودة الطرفين إلى المسار الدبلوماسي.

ونقل موقع «أكسيوس» عن مسؤولين أميركيين قولهما إن إسرائيل شاركت الولايات المتحدة معلومات استخباراتية بشأن ما ادّعت أنها «خطة إيرانية لاغتيال ترامب». غير أن المعلومات، بحسب المسؤولين، «لم تتضمّن خطّة محدّدة ومفصّلة، بل اقتصرت على معلومة تتعلّق بنقاش عام بين مسؤولين إيرانيين، من دون مزيد من التحقّق». وأضاف المسؤولان أن إسرائيل أرادت عبر ذلك التأثير على سياسة ترامب تجاه إيران، و«تدفئة العلاقات» بين الرئيس الأميركي، وبين رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو. وفي السياق نفسه، نقلت شبكة «سي إن إن» عن مسؤولين أميركيين قولهم إن التقرير الإسرائيلي قد يكون «محاولة لدفع ترامب نحو التصعيد».

في هذا الوقت، بدا التقييم السائد في إسرائيل ينحو نحو «اقتراب جولة

> **التقييم في إسرائيل يشير إلى اقتراب جولة التصعيد الحالية من نهايتها**

واشنطن تكبح رغبة نتنياهو في استئناف الحرب الشاملة

على وقع تتالي مؤشرات احتواء التصعيد بين واشنطن وطهران، سُجّل تضارب أميركي ـ إسرائيلي بشأن ما زُعم أنها «معلومات استخباراتية»، نقلتها تل أبيب عن «مخطط إيراني» لاغتيال الرئيس الأميركي، دونالد ترامب. وجاء ذلك في وقت برزت فيه تقديرات إسرائيلية بقرب انتهاء جولة القتال الحالية، وعودة الطرفين إلى المسار الدبلوماسي.

«سي إن إن»: ترامب لا يريد تدخل إسرائيل في القتال الدائر حالياً مع إيران

تراجُع وتيرة التصعيد... والمفاوضات قائمة

ظلّ التصعيد بين إيران والولايات المتحدة، أمس، مضبوطاً، رغم تأكيد الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، مجدّداً انتهاء وقف النار بين البلدَين، وإعلان رئيس البرلمان الإيراني، محمد باقر قاليباف، في المقابل، الاستعداد للدفاع الشامل إذا خان الأميركيون التفاهم.

وكتب ترامب في منشور على منصّة «تروث سوشيال»: «طلبتْ منا جمهورية إيران الإسلامية مواصلة المحادثات. ووافقنا على ذلك، لكن الولايات المتحدة أبلغتها، بعبارات لا لبس فيها، أن وقف إطلاق النار انتهى!». كما واصل ترامب الكلام بأسلوبه الاستعراضي، قائلاً إنه ترك تعليمات بقصف إيران، إذا ما تمّ اغتياله، إلا أنه أضاف، في حديث إلى صحيفة «نيويورك بوست»، أنه «لا توجد خطّة إيرانية جديدة لاغتيالي. هم يريدون قتلي منذ سنوات».

في المقابل، أكد قاليباف، وهو أيضاً رئيس الوفد المفاوض مع الأميركيين، في تصريح نقلته وكالات الأنباء الإيرانية، «أننا لم نسعَ يوماً إلى الحرب، وشعبنا لن يستسلم أبداً للظلم». مضيفاً أنه قال لنائب الرئيس الأميركي خلال المفاوضات «إننا لا نثق بهم إطلاقاً». وتابع أنه «يجب على الجميع أن يعلم أن هذا الصراع لن ينتهي أبداً باستسلام إيران. ونحن مستعدون للدفاع الشامل إذا خان الأميركيون التفاهم». واعتبر أن «من يستطيعون التفاوض مع الولايات المتحدة هم أولئك المستعدون للحرب».

ورغم هذا التصعيد الكلامي، نقلت وكالة «رويترز» عن مصدر القول إن مفاوضين قطريين موجودين في إيران للقاء المسؤولين الإيرانيين، في مسعى إلى خفض التصعيد وتهيئة ظروف استئناف المفاوضات. وأوضح المصدر أن «المحادثات تتناول تنفيذ مذكرة التفاهم والقضايا التي أدّت إلى التوتر بين البلدين».

كذلك، أكد مسؤول أميركي استمرار المحادثات الفنية بين واشنطن وطهران بشأن اتفاق سلام دائم. وقال المسؤول لوكالة «بلومبرغ» إن «الولايات المتحدة لا تزال ملتزمة بإيجاد حلّ دبلوماسي مع إيران»، معتبراً أن «تصرفات طهران إخلال بشروط الاتفاق المؤقت القائمة على الأداء».

وسُجل، أمس، أيضاً، اتصال هاتفي بين الرئيس الإيراني، مسعود بزشكيان، ورئيس وزراء باكستان، شهباز شريف. وقال مكتب شريف إن الأخير شدّد على ضرورة استعادة السلام والاستقرار الإقليميين، ودعا «إيران وجميع الأطراف الأخرى إلى ضبط النفس والامتناع عن أيّ خطوات تعرقل السلام الذي تحقّق بصعوبة خلال الأشهر الماضية»، حاضّاً على «الالتزام بالتعهّدات المنصوص عليها في مذكرة التفاهم».

في هذا الوقت، وفي مؤشر على عدم رغبة ترامب في مزيد من التصعيد، ذكرت محطة «سي إن إن» نقلاً عن مسؤولين إسرائيليين أن «إدارة ترمب لا ترغب في انخراط إسرائيل في العمليات العسكرية ضدّ إيران»، وأن «التقييم الإسرائيلي السائد هو أن ترامب لا يريد العودة إلى حرب شاملة مع إيران، وأن أقصى ما قد يفعله هو إعادة فرض الحصار البحري على الموانئ الإيرانية».

(الأخبار)

بين النقمة الشعبية ومعضلة الحرب

ترامب يريد «هرمز»... و«الجمهوريون» مُحبَطون

ريم هاني

عاودت أسعار الوقود، في الداخل الأميركي، الارتفاع مُجدّداً، في ظلّ عدم اليقين المحيط بمستقبل وقف إطلاق النار بين الولايات المتحدة وإيران. وقفز المعدّل الوطني لغالون البنزين العادي بمقدار 5 سنتات بين ليلة وضحاها، ليصل إلى 3,84 دولارات، علماً أنه كان يشهد هبوطاً مستمراً منذ أواخر أيار. وفي حين تستقرّ أسعار النفط الخام حالياً عند نطاق 70 دولاراً للبرميل، إلّا أنها تظلّ مُرشّحة للارتفاع إذا ما استمرّت حالة عدم الاستقرار في مضيق هرمز، وذلك بحسب «الرابطة الأميركية للسيارات». وتنذر هذه الأرقام بأن إعلان الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، الأربعاء، أن وقف إطلاق النار بين الولايات المتحدة وإيران قد «انتهى»، وضْعه هو وإدارته في مأزق بات مالوفاً؛ أي إعادة الغرق في حرب غير شعبية يبدو أنه عاجز عن إنهائها، على بعد أقلّ من أربعة أشهر من انتخابات التجديد النصفي.

وبحسب صحيفة «واشنطن بوست»، تبنّى «الجمهوريون»، مع توقيع الولايات المتحدة وإيران مذكّرة تفاهم الشهر الماضي لإنهاء الحرب، تفاؤلاً حذراً، في وقت كان فيه قادة الحزب يحذّرون البيت الأبيض من أن ارتفاع أسعار الوقود قد يكلّفهم الكثير في الانتخابات المقرّرة في تشرين الثاني. أمّا الآن، ومع مشارفة الاتفاق على الانهيار، فيخشى «الجمهوريون» تبعات حرب يعارضها معظم الناخبين، ويبدون هم، من جهة، عاجزين عن إنهائها، ومن جهة أخرى، غير مستعدّين للانفصال عن الرئيس الذي بدأها. وفي هذا الإطار، تنقل الصحيفة عن سارة تشامبرلين، رئيسة «شراكة من ستريت الجمهورية» التي تدعم المشرّعين «الجمهوريين» في الدوائر الانتخابية التي تشهد منافسة قوية، قولها إن استمرار الحرب يمثّل «صداعاً حقيقياً» للمرشّحين المطروحة أسماؤهم في أوراق الاقتراع، مشيرةً إلى أن «الناخبين الجمهوريين تحمّلوا ارتفاع أسعار الوقود لبضعة أشهر دعماً لترامب، لكنّ موسم القيادة الصيفي قد حلّ الآن، ولا يبدو أن هناك أيّ انفراجة تلوح في الأفق». وأضافت: «الأمر برمّته يتعلّق بتكلفة المعيشة بالنسبة إلى المنتخَبين، وإذا عادت أسعار الوقود والسلع الغذائية إلى الارتفاع، فستكون هذه مشكلة حقيقية».

> **استغلّ «الديمقراطيون» الأحداث الأخيرة لتجديد دعواتهم إلى تمرير قرار «صلاحيات الحرب»**

من جانبه، دافع البيت الأبيض، الأربعاء، عن إجراءات ترامب، معتبراً أن الرئيس كان محقاً في العمل على منع إيران من امتلاك سلاح نووي. وقالت المتحدّثة باسم البيت الأبيض، أوليفيا ويلز، في بيان لها: «الرئيس ترامب لا يتخذ هذه القرارات بناءً على استطلاعات الرأي المتقلّبة، بل بناءً على المصالح الفضلى للشعب الأميركي». على أن الحرب وتبعاتها لا تزال، طبقاً لـ«واشنطن بوست»، تشكّل عبئاً حقيقياً على ترامب، في وقت تعارض فيه غالبية الأميركيين أسلوب تعامله مع هذا الصراع، وذلك وفقاً لعدة استطلاعات رأي وطنية نُشرت أخيراً. ومن بين تلك الاستطلاعات، واحد أجرته شبكة «فوكس نيوز»، في منتصف حزيران، أظهر أن 58% من الناخبين المُسجّلين يرون أن الولايات المتحدة اتّخذت القرار الخاطئ بشنّ عمل عسكري ضدّ إيران في شباط، بينما رأى 41% منهم أن البلاد اتّخذت القرار الصحيح. ووفقاً للاستطلاع نفسه، شدّد 87% من المشاركين على أهمية تجنب صراع عسكري مطوّل، وهو ما اعتبره 59% أمراً «في غاية الأهمية».

مع ذلك، لزم المشرّعون «الجمهوريون» الصمت إلى حدّ كبير بشأن خطوة ترامب الأخيرة؛ علماً أنهم منذ اندلاع الحرب، يواجهون صعوبة في الموازنة بين دعمهم للرئيس واستياء ناخبيهم. أمّا على الضفة المقابلة، فاستغلّ «الديمقراطيون» تجدّد التوترات لتكرار دعواتهم إلى تمرير قرار «صلاحيات الحرب» الذي يأمر ترامب بإنهاء الأعمال العدائية مع إيران. وعلى الرغم من تنامي المخاوف من تهديدات ترامب المُجترّة، يستبعد عدد من المراقبين أن يكون الأخير مستعداً للتصعيد إلى حدّ التسبب بالعودة إلى الحرب الشاملة؛ إذ إن استئناف العمليات العسكرية الواسعة النطاق، قبيل انتخابات التجديد النصفي، ومن دون أيّ ضمانات بتغيير السلوك الإيراني، «لا يمكن اعتباره بديلاً جذّاباً في أيّ حال من الأحوال». لكن وفقاً لتقرير نشرته مجلة «ذي أتلانتيك» الأميركية، فإنه بالنسبة إلى الولايات المتحدة، يحمل غضّ الطرف عن استمرار الهجمات الإيرانية على السفن في مضيق هرمز مجازفة بإرسال إشارة مفادها أن طهران لا تزال تملك اليد العليا في أحد أكثر الممرّات المائية استراتيجية في العالم. ومن هنا، حاولت إدارة ترامب، الأسبوع الجاري، «مسك العصا من المنتصف»، مستخدمةً الضربات الصاروخية وهجمات الطائرات المُسيّرة لفتح المضيق، إنّما من دون إشعال فتيل صراع أوسع نطاقاً.

على أن مذكّرة التفاهم التي قدّمت لإيران حوافز مالية واسعة النطاق من خلال تخفيف العقوبات عنها، وإتاحة إمكانية الوصول إلى الأموال المُجمّدة أمامها، لم تُترجَم إلى مكاسب حقيقية وكاملة، في حين تَنظر طهران إلى الاتفاق الأخير بين إسرائيل والسلطة اللبنانية، والذي تمّ بوساطة أميركية، على أنه «التفاف على المذكّرة التي وعدت أيضاً بوقْف إطلاق النار في لبنان بين إسرائيل وحزب الله». ومن شأن هذه العوامل أن تجعل إيران، بحسب المصدر نفسه، أكثر تصميماً من ما كانت في أيّ وقت مضى على الاحتفاظ بسيطرتها على المضيق؛ وعلى الرغم من أنها قد لا تسعى إلى استئناف صراع شامل، فإنها قد تجد هذا الاحتمال أفضل من التنازل عن ورقة «هرمز» وخسارة الرسوم التي تسعى لفرضها هناك. وفي هذا السياق، تنقل المجلة نفسها عن ولي نصر، أستاذ الشؤون الدولية ودراسات الشرق الأوسط في «كلية جونز هوبكنز للدراسات الدولية المتقدّمة»، قوله إن إيران «ترى أن الولايات المتحدة تحاول تشجيع حركة الملاحة عبر المضيق لانتزاع أوراق الضغط الإيرانية عليه، بشكل لا يبقي لطهران ما تتفاوض بشأنه»، مضيفاً أن «إيران هاجمت بأجندة واضحة، فردّ ترامب بقوة، والنتيجة هي أننا قد نجد أنفسنا نسير في نومنا نحو الحرب من جديد».

وكان تملّك الإحباطُ ترامب بسبب عجزه عن إنهاء المعضلة الإيرانية؛ وهو اشتكى بمرارة إلى مستشاريه من التغطية الإعلامية التي تصوّر مذكّرة التفاهم على أنها هزيمة، ولا سيما عند مقارنتها بشكل سلبي بالاتفاق النووي الإيراني الذي أبرمه الرئيس الأسبق، باراك أوباما، قبل عقد من الزمن. كذلك، تلقّت إدارته «رسائل قلق» من دول الخليج التي تخشى بشدّة من خطّة إيران لفرض سيطرة دائمة على مضيق هرمز، من خلال نوع من الرسوم. وبحسب دبلوماسي في المنطقة، فإن إجبار هذه الدول على ملء الخزائن الإيرانية لاستخدام ممرّ مائي كان مجانياً للجميع قبل الحرب، هو أمر «غير مقبول بتاتاً»، طبقاً لـ«ذي أتلانتيك». على أن ما تقدّم لا يعني، بالضرورة، أن العودة إلى الأعمال العدائية الشاملة باتت وشيكة؛ إذ يشير أحد مساعدي البيت الأبيض إلى أن ترامب يلمّح إلى أن المفاوضات تستمر حتى في الوقت الذي يهدّد فيه بمزيد من القصف، في حين يعتبر الجنرال المتقاعد في الجيش، جوزيف فوتيل، الذي قاد القيادة المركزية الأميركية المسؤولة عن العمليات العسكرية في الشرق الأوسط، في حديث إلى المجلة نفسها، أنه يمكن وصف الخيار العسكري الأميركي بـ«التصعيد المدروس»، الذي «يستهدف تقويض قدرة إيران على التأثير في مضيق هرمز».

يخشى «الجمهوريون» تبعات حرب يعارضها معظم الناخبين (هنّ الوبير)

حاملتا الطائرات الأميركيتان «يو إس إس لينكولن» و«يو إس إس بوش» إلى خليج عُمان، حيث أظهرت صور أقمار صناعية وجودهما على مسافة 250 كيلومتراً فقط من الساحل الإيراني، فيما يُعتقد أن مهمّتهما تتمثّل في توفير الحماية للسفن التي تسلك المسار الأميركي في مضيق هرمز.

ومع تراجع وتيرة التصعيد الميداني، وعودة الحرارة إلى الخطوط التفاوضية، نقلت شبكة «سي إن إن» عن مصادر إسرائيلية قولها إن «ترامب لا يريد تدخّل إسرائيل في القتال الدائر حالياً مع إيران، وذلك خشية فقدان السيطرة على الأحداث». كما أفادت مصادر مطلعة بأن «نتنياهو يرغب بشدّة في الانضمام إلى الضربات الأميركية، إلا أن واشنطن ترفض أيّ مشاركة إسرائيلية في الوقت الحالي». وامتدّت الضغوط الأميركية الكابحة إلى الجبهة اللبنانية على ما يبدو؛ إذ أفادت «هيئة البث الإسرائيلية» بأن الولايات المتحدة طلبت من إسرائيل «عدم تنفيذ أيّ عمليات استثنائية في جنوب لبنان». وبناءً على ذلك، «جمّد المستوى السياسي الإسرائيلي جميع العمليات التي تُصنّف حسّاسة في جنوب لبنان». وبحسب الهيئة، تسري هذه التعليمات على الجيش حتى إشعار آخر، وإلى حين اتّضاح مسار التصعيد الحالي بين الولايات المتحدة وإيران، فضلاً عن مسار المفاوضات بين إسرائيل ولبنان. لكن مسؤولين أميركيين أعربوا عن خشيتهم من أن «تجرّ إسرائيل المنطقة إلى مواجهة عسكرية أوسع».

من جهة أخرى، وفي تعليقات لافتة، عرض رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق، إيهود بارك، في مقابلة مع صحيفة «معاريف» العبرية، سلسلة سيناريوات محتملة في حال استنتج نتنياهو أنه على وشك خسارة الانتخابات المقبلة. وزعم بارك أن نتنياهو قد يُقدِم، في هذه الحال، على «مهاجمة الضاحية الجنوبية لبيروت بهدف تصعيد الحرب مع إيران وتأجيل الانتخابات». وأضاف بارك أنه «ليس من المستبعد أن يُصدر نتنياهو، قبل أيام من الانتخابات، أوامر بقصف منشأة في النبطية، وأن يرسل حزب الله طائرات مسيّرة إلى إسرائيل، لتردّ الأخيرة بمهاجمة الضاحية الجنوبية، بما قد يؤدي إلى اندلاع حرب مع إيران، وليس مع حزب الله فقط».

(الأخبار)

تقرير

انزعاج أميركي من حشود النجف وكربلاء

عراق ما بعد التشييع: نزع السلاح أبعد

بغداد – **فقار فاضله**

تحوّلت المراسم المليونية لتشييع المرشد الإيراني الراحل، آية الله الشهيد علي خامنئي، في مدينتَي النجف وكربلاء قبل أيام، إلى تظاهرة جيوسياسية ذات أبعاد متعدّدة ودلالات بالغة الأهمية. فالحدث الذي ينظر إليه مسؤولون عراقيون باعتباره منعطفاً مفصلياً قد يقسم المشهد السياسي في البلاد إلى ما قبل التشييع وما بعده، جاء في توقيت إقليمي مهمّ، ليعيد رسم توازنات القوة، ويضع حكومة رئيس الوزراء العراقي، علي الزيدي، أمام اختبار داخلي وخارجي معقّد، لا سيما في ملفّ ضبط السلاح، والعلاقة الاستراتيجية الحذرة مع كلّ من الولايات المتحدة وإيران.

وفي هذا الإطار، تكشف مصادر سياسية مطلعة، لـ«الأخبار»، أن «واشنطن أعربت عن انزعاجها الشديد من آليات وأبعاد إحياء هذه المناسبة في العراق بهذا الزخم غير المسبوق». وتضيف المصادر أن «التشييع والتحشيد المدروس شكّلا اختباراً صعباً ومحرجاً للغاية للزيدي قبيل سفره إلى واشنطن، حيث تلقّت الإدارة الأميركية رسالة سياسية واضحة وميدانية مفادها أن العراق لا يزال يمثّل مركزاً وثقلاً لنفوذ المحور، وهو أمر يتناقض تماماً مع ما تسعى إليه الإدارة الأميركية وتضغط لأجله».

وفي قراءته لهذا المشهد ومآلاته، يرى الباحث السياسي العراقي، جودت كاظم، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «الكثافة العددية والظهور العلني المكثّف لقادة الفصائل العراقية وجمهورها خلال التشييع، حملا رسالة قصدية سياسية وميدانية واضحة لإثبات النفوذ على أرض الواقع». ويشير كاظم إلى أن «هذا الاستعراض يمثّل ظهوراً علنياً منظماً بعد أشهر من الصمت التكتيكي، وهو يتزامن مع تحركات حكومة الزيدي المعلنة الرامية إلى نزع السلاح، وحصره في يد الدولة». ويعتبر أن

> **التشييع والتحشيد المدروس شكّلا اختباراً صعباً ومحرجاً للزيدي قبيل سفره إلى واشنطن**

«الفصائل أرادت إيصال رسالة بليغة ومفصّلة مفادها أنها رقم صعب لا يمكن تجاوزه في أيّ معادلة أمنية أو سياسية، وأن عمقها الجماهيري والعقائدي يمنحها شرعية البقاء في مواجهة الضغوط الداخلية والخارجية، ما يجعل خطط نزع السلاح تواجه جداراً ميدانياً صلباً».

ومن جانبه، يشير الكاتب والمحلل السياسي، إبراهيم السراج، إلى البعد الدولي والإقليمي لهذا الحشد، معتبراً، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «التشييع المليوني اختصر فكرة جوهرية، وهي أن العراق لم يتأثر بالخطاب والتهديدات الأميركية، بدليل نزول قادة وجمهور المحور بثقلهم الكامل». ويضيف أن «التحشيد من قبل الحشد والفصائل كان مدروساً لغرض إثبات عديدها في الميدان، كما أن حضورها اللافت بالتزامن مع تهديدات دونالد ترامب للمنطقة قد يبرّر لها استمرار جاهزيتها كقوة ردع أمنية أمام جمهورها». ويعتقد أن «هذا الواقع الميداني يفرض تحدّياً حقيقياً على التفاهمات الأخيرة، لا سيما أن الزيدي صرّح مؤخراً بأنه اتفق مع الفصائل على أن تسلّم سلاحها، وقال أيضاً: سنعدّ برنامجاً لتسليم السلاح، وسينتقل عمل الفصائل إلى الميدانَين السياسي والاجتماعي. لكن زخم هذا الحضور اللافت والمؤثّر في التشييع قد يفرض إيقاعاً مغايراً تماماً، ويعيد صياغة أو إبطاء تنفيذ هذه المسارات السياسية».

وفي مقابل القراءات التي تربط الحدث بمحاور التصعيد؛ ينقل النائب في البرلمان العراقي، صكر الحميداوي، زاوية القراءة الرسمية للمنطقة قد يبرّر لها استمرار جاهزيتها كقوة ردع أمنية أمام جمهورها». ويعتقد أن «هذا الواقع الميداني يفرض تحدّياً حقيقياً على التفاهمات الأخيرة، لا سيما أن الزيدي صرّح مؤخراً بأنه اتفق مع الفصائل على أن تسلّم سلاحها، وقال أيضاً: سنعدّ برنامجاً لتسليم السلاح، وسينتقل عمل الفصائل إلى الميدانَين السياسي والاجتماعي. لكن زخم هذا الحضور اللافت والمؤثّر في التشييع قد يفرض إيقاعاً مغايراً تماماً، ويعيد صياغة أو إبطاء تنفيذ هذه المسارات السياسية».

وفي مقابل القراءات التي تربط الحدث بمحاور التصعيد؛ ينقل النائب في البرلمان العراقي، صكر الحميداوي، زاوية القراءة الرسمية للمنطقة قد يبرّر لها استمرار جاهزيتها كقوة ردع أمنية أمام جمهورها». ويعتقد أن «هذا الواقع الميداني يفرض تحدّياً حقيقياً على التفاهمات الأخيرة، لا سيما أن الزيدي صرّح مؤخراً بأنه اتفق مع الفصائل على أن تسلّم سلاحها، وقال أيضاً: سنعدّ برنامجاً لتسليم السلاح، وسينتقل عمل الفصائل إلى الميدانَين السياسي والاجتماعي. لكن زخم هذا الحضور اللافت والمؤثّر في التشييع قد يفرض إيقاعاً مغايراً تماماً، ويعيد صياغة أو إبطاء تنفيذ هذه المسارات السياسية».

وفي مقابل القراءات التي تربط الحدث بمحاور التصعيد؛ ينقل النائب في البرلمان العراقي، صكر الحميداوي، زاوية القراءة الرسمية للمنطقة قد يبرّر لها استمرار جاهزيتها كقوة ردع أمنية أمام جمهورها». ويعتقد أن «هذا الواقع الميداني يفرض تحدّياً حقيقياً على التفاهمات الأخيرة، لا سيما أن الزيدي صرّح مؤخراً بأنه اتفق مع الفصائل على أن تسلّم سلاحها، وقال أيضاً: سنعدّ برنامجاً لتسليم السلاح، وسينتقل عمل الفصائل إلى الميدانَين السياسي والاجتماعي. لكن زخم هذا الحضور اللافت والمؤثّر في التشييع قد يفرض إيقاعاً مغايراً تماماً، ويعيد صياغة أو إبطاء تنفيذ هذه المسارات السياسية».

وفي مقابل القراءات التي تربط الحدث بمحاور التصعيد؛ ينقل النائب في البرلمان العراقي، صكر الحميداوي، زاوية القراءة الرسمية للمنطقة قد يبرّر لها استمرار جاهزيتها كقوة ردع أمنية أمام جمهورها». ويعتقد أن «هذا الواقع الميداني يفرض تحدّياً حقيقياً على التفاهمات الأخيرة، لا سيما أن الزيدي صرّح مؤخراً بأنه اتفق مع الفصائل على أن تسلّم سلاحها، وقال أيضاً: سنعدّ برنامجاً لتسليم السلاح، وسينتقل عمل الفصائل إلى الميدانَين السياسي والاجتماعي. لكن زخم هذا الحضور اللافت والمؤثّر في التشييع قد يفرض إيقاعاً مغايراً تماماً، ويعيد صياغة أو إبطاء تنفيذ هذه المسارات السياسية».

وفي مقابل القراءات التي تربط الحدث بمحاور التصعيد؛ ينقل النائب في البرلمان العراقي، صكر الحميداوي، زاوية القراءة الرسمية للمنطقة قد يبرّر لها استمرار جاهزيتها كقوة ردع أمنية أمام جمهورها». ويعتقد أن «هذا الواقع الميداني يفرض تحدّياً حقيقياً على التفاهمات الأخيرة، لا سيما أن الزيدي صرّح مؤخراً بأنه اتفق مع الفصائل على أن تسلّم سلاحها، وقال أيضاً: سنعدّ برنامجاً لتسليم السلاح، وسينتقل عمل الفصائل إلى الميدانَين السياسي والاجتماعي. لكن زخم هذا الحضور اللافت والمؤثّر في التشييع قد يفرض إيقاعاً مغايراً تماماً، ويعيد صياغة أو إبطاء تنفيذ هذه المسارات السياسية».

العراق ما بعد التشييع غير ما قبله (من الويب)

قضية

أوّل برلمان في سوريا الجديدة تضارب[9] صلاحيات... وغموض حول مشاريع الترميم

مروة جردي

بعدما كان مُقرَّراً عقد الجلسة الأولى لمجلس الشعب السوري الجديد، بالتزامن مع زيارة الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، إلى دمشق، أعلنت «اللجنة العليا لانتخابات مجلس الشعب» تأجيلها إلى موعد يُحدَّد لاحقاً، من دون توضيح الأسباب، وهو ما فتح الباب أمام تساؤلات واسعة بشأن خلفيات القرار. وبرزت داخل الأوساط السياسية والبرلمانية روايتان لتفسير التأجيل: الأولى تربطه بالترتيبات الأمنية المرافقة لزيارة ماكرون، فيما تعيده الثانية إلى خلافات حول إدارة الجلسة الافتتاحية وصلاحيات «لجنة الانتخابات». وبحسب مصدر من داخل البرلمان تحدّث إلى «الأخبار»، فإن القرار جاء بسبب تزامن موعد الجلسة مع الزيارة الفرنسية، وما فرضه ذلك من صعوبات أمنية ولوجستية في تأمين الحدّين معاً، خاصة في ظلّ وجود معلومات مُسبقة عن احتمال مواجهة تحدّيات أمنية داخل العاصمة. وتتطابق هذه الرواية مع ما أفاد به أحد أعضاء المجلس الجديد، من أنهم أُبلغوا بأن الإرجاء مرتبط بزيارة الرئيس الفرنسي؛ علماً أن عدداً كبيراً من نواب المحافظات كانوا قد وصلوا بالفعل إلى العاصمة للمشاركة في الافتتاح، في حين لم يتبلّغ العاملون في البرلمان بالإرجاء «إلّا بعد انتهاء الدوام الرسمي».

في المقابل، تكشف مصادر مطّلعة، في حديث إلى «الأخبار»، أن الاعتبارات الأمنية ليست سوى جزء من الأسباب التي دفعت إلى تأجيل الجلسة الافتتاحية، مُبيِّنة أن السبب الأبرز يتمثّل بتباين وجهات النظر حول إدارة هذه الأخيرة، والإجراءات التي تسبق انتخاب رئيس المجلس. وبحسب تلك المصادر، فإن «اللجنة العليا للانتخابات» تتمسّك بإدارة الجلسة حتى إلقاء رئيس الجمهورية كلمته في أثنائها، ومن ثمّ تسليم رئاستها إلى أكبر الأعضاء سناً؛ لكن هذا المطلب أثار جدلاً حول حدود صلاحيات اللجنة بعد اكتمال تشكيل البرلمان، خاصة أن عدداً من أعضائها أصبحوا نواباً بعد إدراجهم ضمن قائمة الرئيس. ويكتسب ذلك الجدل أهمية إضافية نظراً إلى أن النظام الانتخابي المؤقّت ينص على دعوة «مجلس الشعب» إلى أولى جلساته خلال مهلة قانونية مُحدّدة بعد إعلان أسماء أعضائه، في حين يرى خبراء في القانون الدستوري أن تجاوز تلك المهلة يثير تساؤلات حول مدى توافق الإجراءات مع أحكام الإعلان الدستوري.

وفي ما اعتبره البعض ردّاً غير مباشر على تلك التكهّنات المتضاربة، نشرت وكالة الأنباء السورية الرسمية «سانا» توضيحاً للإجراءات القانونية والتنظيمية المُستنِدة إلى الإعلان الدستوري لعام 2025. وأشارت الوكالة إلى أن الجلسة الافتتاحية تُعقد برئاسة أكبر أعضاء المجلس سنّاً - وهو رامي شاهر الصالح (72 عاماً) من مواليد بلدة الشحيل في محافظة دير الزور -، وبمعاونة أصغر الأعضاء سنّاً - حسين عبد الرحمن العلي (27 عاماً) من بلدة الوضيحي في ريف حلب - بصفته أميناً للسرّ، على أن يتولّى هذان الإشراف على انتخاب الرئيس ونائبه وأميني السرّ، لتنتقل بعدها الإدارة إلى رئيس المجلس المُنتخَب الذي يدعو رئيس الجمهورية إلى حضور الجلسة الثانية وإلقاء كلمته تحت قبّة البرلمان. وفي أثناء الجلسة الافتتاحية نفسها، يؤدّي النواب القَسَم الدستوري، إيذاناً باكتسابهم الصفة القانونية الكاملة لممارسة مهامهم التشريعية.

بين آخر جلسة وأول جلسة

قبل يومين فقط من سقوط النظام، عقد مجلس الشعب آخر جلساته في 5 كانون الأول 2024، حيث خُصّصت، وفق «سانا»، لمناقشة ملفّات تتعلّق بسحب الثقة. ومثّلت تلك الجلسة، التي توقّفت عقبها أعمال البرلمان بالكامل، امتداداً للمسار الذي كان سلكه المجلس خلال الأشهر الأخيرة من حكم الرئيس السابق بشار الأسد، عندما انشغل بإجراءات إسقاط العضوية بحق عدد من النواب على خلفية حصولهم على جنسية ثانية إلى جانب جنسيتهم السورية، في مخالفة للوائح الناظمة لعضوية المجلس؛ علماً أن من بين أبرز من طاولتهم هذه الإجراءات، محمد حمشو، بعد الكشف عن حصوله على الجنسية التركية. ومع استثناف

> **خضع مبنى مجلس الشعب لأوسع عملية إعادة تأهيل منذ عقود**

العاملين الإداريين أعمالهم خلال الأيام الأولى التي أعقبت سقوط النظام، فوجئ الموظفون، بحسب إفاداتهم لـ«الأخبار»، بعمليات نهب وتخريب طاولت عدداً من مرافق المبنى التاريخي، ومن بينها مكاتب إدارية وخزائن تابعة للدائرة المالية، وحتى الحديقة المحيطة التي لم يسلم البطّ الذي كان يُربّى فيها من السرقة. وإذ جاءت هذه العمليات ضمن موجة أوسع من النهب والتخريب اللذين شملا عدداً من المباني الحكومية والقصور والممتلكات المرتبطة بمسؤولي العهد السابق، نجت مُخدّمات (Servers) المجلس من السرقة أو التخريب، نظراً إلى أنها كانت محفوظة داخل غرفة مؤمّنة، وهو ما أدّى إلى نجاة قاعدة البيانات والأرشيف الرقمي.

وخلال المرحلة الانتقالية التي أعقبت تسلّم الإدارة الجديدة مهامها، اقتصر العمل داخل البرلمان على جزء من الكادر الإداري وموظفي الشؤون المالية، إلى جانب عمال الخدمات والفنيين. وبحسب إفادات عدد من العاملين لـ«الأخبار»، فقد تولّى تسيير شؤون المجلس مندوبٌ عن الهيئة السياسية الحاكمة كان يُعرف باسم «أبو فاروق»، من دون أن يتمكّن الموظفون من تحديد اسمه الكامل. ولاحقاً، تسلّمت الإدارة صحافية كانت تنشط في مناطق سيطرة «حكومة الإنقاذ» في إدلب شمالي سوريا، ومُعيّنة من جانب «اللجنة العليا للانتخابات» لإدارة المكتب الإعلامي. ومن بعدها، كُلّف المسؤول التقني في «اللجنة العليا»، محمد حمزة شموط، برئاسة الأمانة العامة لمجلس الشعب، قبل أن يُعيَّن مدير إداري جديد خلفاً له. وعلى الرغم من تأكيد الموظفين أنهم لم يتعرّضوا لأي اقتطاع من رواتبهم أو لإجراءات تعسّفية خلال فترة توقف أعمال المجلس، فإن الصعوبات بدأت بالنسبة إليهم مع استئناف العمل تحت الإدارة الجديدة، إذ طُلب منهم الالتزام بإجراءات أكثر صرامة، مع تبرير ذلك بأنهم تقاضوا رواتبهم طوال عام كامل رغم توقّف الدوام. كما أوقف منحهم الإجازات المدفوعة، وحُوّل معظمهم للعمل في قسم التوثيق، وهو ما دفع بعضهم إلى تقديم استقالاتهم التي بقيت مُعلّقة حتى اليوم لعدم وجود رئيس للبرلمان.

من جهة أخرى، وقبيل انعقاد أولى جلسات مجلس الشعب الجديد، خُصّ مبناه لأوسع عملية إعادة تأهيل منذ عقود، وذلك بإشراف أمانة رئاسة الجمهورية خلال فترة تولّي ماهر الشرع، شقيق الرئيس السوري الانتقالي، منصب الأمين العام للرئاسة. وشملت الأعمال ترميم القبة الرئيسة والزخارف والنقوش الخشبية، وصيانة المقاعد، إلى جانب تجهيز القاعة العامة بمنظومة تصويت إلكترونية ولوحات ذكية تتيح للنواب المشاركة في التصويت، وفقاً لما أظهرته مقاطع فيديو بثّتها وكالة «سانا». إلّا أن الجوانب المالية والتنفيذية للمشروع لا تزال غير واضحة؛ فبحسب مصادر تحدّثت إلى «الأخبار»، تعاقدت ثلاث شركات خاصة على تنفيذ أعمال الترميم، قبل أن تستقرّ الأعمال لدى الشركة الثالثة، من دون إعلان أسباب إنهاء العقود السابقة أو توضيح آلية اختيار الشركات المُنفّذة. وفي حين لم تتمكّن «الأخبار» من الحصول على معلومات رسمية بشأن الكلفة الإجمالية للمشروع، أو الجهة التي موّلته، اكتفت «سانا» بنشر شهادات فرق هندسية تابعة للمكتب الهندسي لمجلس الشعب عن عمليات التأهيل، من دون التطرّق إلى الجهات المُنفّذة أو تفاصيل التعاقدات.

مصر

وفد «حمساوي» في القاهرة مصر توّيد الفصل بين الإعمار و«نزع السلاح»

القاهرة - **الأخبار**

يجري المسؤولون المصريون لقاءات مكثّفة مع وفد رفيع المستوى من حركة «حماس»، يقوده خليل الحية، بالتزامن مع محادثات أمنية أجراها وفد من كبار ضباط جيش الاحتلال، في زيارة هي الأولى من نوعها لوفد إسرائيلي إلى مصر منذ أسابيع. وتستهدف هذه التحركات المتزامنة، وفق مصادر مصرية تحدثت إلى «الأخبار»، بلورة موقف واضح بشأن النقاط العالقة في مفاوضات وقف إطلاق النار في قطاع غزة، تمهيداً لطرح «رؤية موحّدة» أمام وفد الإدارة الأميركية المتوقّع وصوله الأسبوع المقبل إلى القاهرة. ويراد عبر تلك الرؤية، بحسب المصادر نفسها، وضع واشنطن أمام مسؤولياتها كـ«ضامن» للاتفاق، وقطع الطريق على محاولات التلاعب بالصيغ والالتفاف عليها، التي لا تفتأ تل أبيب تكرّرها.

ولا تتحرّك القاهرة منفردة في هذا المسار، بل يجري العمل بتنسيق مع الدوحة وأنقرة، بهدف بناء جبهة وساطة «قادرة على مواجهة الشروط الإسرائيلية المتصاعدة»، على حدّ تعبير المصادر. ويضع هذا التحرك في صلب أولوياته إحباط مناورات رئيس حكومة الاحتلال، بنيامين نتنياهو، الذي تشير التقديرات إلى أنه «يبحث عن ذريعة لإعادة تفجير الأوضاع عسكرياً واستئناف الحرب، مدفوعاً بحسابات داخلية وانتخابية، ورغبته في ترميم شعبيته المتراجعة أمام منافسيه».

وتأتي هذه التحرّكات في وقت تسابق فيه الأجهزة المصرية الوقت لتسوية هذا الملف قبل أن تبتلعه الاستحقاقات السياسية المرتقبة، والمتمثّلة في الانتخابات الإسرائيلية وانتخابات التجديد النصفي للكونغرس الأميركي، وذلك وفقاً للمصادر نفسها، التي تشير إلى أن القاهرة تدرك أن تلك الاستحقاقات كفيلة بـ«تعطيل المسارات الدبلوماسية بالكامل». وهذا ما يجعل من حسم الموقف الآن «ضرورة قصوى لمنع الاحتلال من استغلال عامل الوقت لفرض وقائع جديدة على الأرض أو اغتيال المزيد من القيادات الميدانية للمقاومة».

ووفقاً للمصادر، فإن اللقاءات الأمنية التي تقودها المخابرات المصرية مع وفد جيش الاحتلال، تستهدف تفكيك «الاشتراطات التعجيزية» التي تفرضها القيادة العسكرية والسياسية في تل أبيب. وفيما تركز النقاشات الحالية بين الجانبين على «صياغة ترتيبات أمنية وفنية تضمن الانتقال الآمن إلى المرحلة الثانية من الاتفاق»، تبذل القاهرة جهوداً لإقناع الجانب الإسرائيلي بـ«التراجع» عن خيار المواجهة العسكرية والالتزام باستحقاقات الانسحاب التدريجي والتهدئة المستدامة التي تسمح ببدء الإعمار.

غير أن مساعي الأجهزة المصرية تصطدم، حتى الآن، بالصيغ الالتفافية التي طرحها رئيس «مجلس السلام»، نيكولاي ملادينوف، والتي تركزت حول الترتيبات الأمنية الميدانية، وآليات إعادة الإعمار، ومستقبل السلاح داخل القطاع. وبينما تصرّ إسرائيل على طرح ملف نزع سلاح المقاومة كشرط مسبق للانتقال إلى المرحلة الثانية وفقاً لطرح ملادينوف، تشدّد حركة «حماس» على أولوية الانسحاب العسكري الإسرائيلي، وفقاً لـ«اتفاق شرم الشيخ».

وأمام هذا الاستعصاء، تحاول القاهرة إيجاد صيغ مرنة تفصل بين تدفق أموال الإعمار وترميم البنية التحتية من جهة، والملفات العسكرية المعقدة من جهة أخرى، وذلك لضمان عدم تجدد العدوان. وفي هذا السياق، تتمسّك مصر بـ«التفعيل الشامل للملف الإنساني والسياسي، بما يضمن التدفق الكامل والآمن للمساعدات، وتمكين السلطة الفلسطينية عبر «لجنة إدارة غزة» من الاضطلاع بمسؤولياتها في القطاع»، مع التشديد على الرفض القاطع لمشاريع التهجير القسري أو تصفية القضية الفلسطينية.

مقالة تحليلية

عودة إلى الإرث الاستعماري الثقيل فرنسا - سوريا: الانفتاح ليس مجانياً

عبد المنعم علي عيسى

تضرب جذور العلاقة السورية - الفرنسية في عمق التاريخ؛ فالبلدان ربطهما إرث استعماري تراكم عبر مرحلة الانتداب الفرنسي (1920 - 1946)، التي جاءت نتاجاً لاتفاقيات «سايكس بيكو» الشهيرة وللمآلات التي انتهت إليها الحرب العالمية الأولى. وإلى حدّ هذا، ظلّ يغوص في الذهنية «الإمبراطورية» الفرنسية لمدة مديدة، في ما عكسه بوضوح موقف باريس من الكيان الصهيوني الذي تقرّر زرعه في فلسطين عام 1948؛ إذ مثّلت فرنسا الحليف الأكبر والداعم الرئيس للكيان الوليد، والذي أسّس لـ«البرنامج النووي الإسرائيلي»، وصولاً إلى توقيع اتفاق إنشاء «مفاعل ديمونا» عام 1957، كناتج لتعاون وثيق بين الطرفين. وهو تعاونٌ سبق أن تجلّى أيضاً في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956.

لكن الأكيد أن النتائج التي آل إليها العدوان المذكور، والتي قادت إلى تراجع الدور العالمي الفرنسي لحساب الصعود الأميركي والسوفياتي على حدٍّ سواء، هي التي أفضت إلى المواقف المتشدّدة التي اتّخذها الرئيس شارل ديغول من إسرائيل بعيد عدوان حزيران 1967. وممّا عزّز ذلك التوجّه، التفلّت الإسرائيلي من «العقال» الفرنسي والذهاب بعيداً في التحالف مع الولايات المتحدة، الأمر الذي لاحت بوادره منذ صيف عام 1964، واقتضى إحداث تغييرات كبرى في الذهنية الساعية لاستعادة «المجد» الفرنسي. وقادت هذه التغييرات في النهاية إلى إطلاق منظمة «الفرنكوفونية» عام 1970 كسبيل لاستعادة النفوذ.

وفي عهد الرئيس السابق، حافظ الأسد، اتّسمت العلاقة السورية - الفرنسية بالبراغماتية والتقلّب، حيث تراوحت بين التعاون الدبلوماسي والتوتر الشديد، وفقاً لما تحدّده باقة المصالح المتبادلة وملفات المنطقة، وخصوصاً منها الملف اللبناني الذي اضطرمت نيرانه بداية ربيع عام 1975. إذ أدّى التدخل السوري في لبنان إلى توهّج دور دمشق وتحوّلها إلى لاعب أساسي في المنطقة لا يمكن لباريس تجاهله. وفي ما بعد، اتّسمت تلك العلاقة بالبرود من جراء تناقض المواقف على ضفاف الأزمة اللبنانية؛ ففي الوقت الذي دعمت فيه فرنسا الوجود المسيحي والقوى التقليدية، عملت سوريا على تحصين نفوذها عبر تبديل تحالفاتها في لبنان تبعاً لمتطلّبات النفوذ ومنظور الصراع مع إسرائيل.

> **تنظر فرنسا اليوم إلى سوريا باعتبارها دولة ذات أهمية جيوسياسية بالغة في شرق المتوسط**

ومع نجاح دمشق في حسم صراعها الداخلي إزاء «الإخوان المسلمين» في شباط 1982، وفي إسقاط «اتفاق 17 أيار» عام 1983، أيقنت باريس أن المتغيّرات أكبر من أن يجري تجاهلها. ومن هنا، جاءت زيارة الرئيس الفرنسي آنذاك، فرانسوا ميتران، إلى دمشق عام 1984، والتي حملت اعترافاً فرنسياً بدور سوريا الإقليمي في لبنان، عبر طلب التوسّط لإطلاق سراح الرهائن الفرنسيين هناك. ومع اندلاع حرب الخليج الثانية عام 1991 ومشاركة القوات السورية في «تحرير الكويت»، كسر الأسد الأب جدران العزلة الغربية المفروضة على نظامه، وفي صلبها تلك الفرنسية. ورغم ذلك، ظلّ التباين الفرنسي - السوري في لبنان قائماً، وخصوصاً أن الأخير كان قد أضحى تحت الهيمنة السورية تماماً في أعقاب الحرب. وفي أواخر عهد الأسد الأب، الذي تزامن مع عهد الرئيس جاك شيراك في فرنسا، توطدت العلاقة بدرجة كبيرة، ليكون الأخير الزعيم الغربي الوحيد الذي حضر تشييع الأسد في حزيران عام 2000.

وعلى المنوال ذاته، سار شيراك في دعم الأسد الابن طوال سنوات حكمه الأولى، قبل أن تبلغ العلاقات منعرجاً خطيراً تمثّل باغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق، رفيق الحريري، في شباط 2005، حيث اتُّهم النظام السوري بالضلوع في الجريمة، ممّا دفع شيراك إلى قطع علاقاته بدمشق. ومع وصول نيكولا ساركوزي إلى «الإليزيه»، بدا وكأنه يسعى لطيّ صفحة الماضي، فمثّلت زيارته لدمشق عام 2008 «طوق نجاة» لكسر العزلة، إلا أنها انتهت إلى فشل ذريع نتيجة ما وصفه مصدر مقرّب من الرئاسة الفرنسية حينها بـ«مراوغات الأسد». وعقب اندلاع احتجاجات آذار 2011، اتخذت باريس موقفاً متشدداً داعماً للمعارضة، وأغلقت سفارتها مطالبة بتنحّي بشار الأسد؛ وهو الموقف الذي لم يتغيّر في عهدَي فرانسوا هولاند وإيمانويل ماكرون، قبل أن تتسارع الأحداث وتتمرّكز أشرعة الحكم السابق في دمشق يوم 8 كانون الأول 2024.

اليوم، تنظر فرنسا إلى سوريا باعتبارها دولة ذات أهمية جيوسياسية بالغة في شرق المتوسط، وشريكاً أساسياً في قضايا الأمن الإقليمي ومكافحة الإرهاب وإدارة الهجرة، واستقرار المنطقة. وفي المقابل، تنظر سوريا نحو فرنسا كشريك أوروبي يمتلك ثقلاً سياسياً واقتصادياً داخل «الاتحاد الأوروبي»، ويمكنه المساهمة في دعم مسارات التعافي والتنمية وإعادة الانفتاح على الغرب، وهو ما يمثل هاجساً لا لبس فيه لدى القيادة الجديدة.

ويأتي بحث سكان «الإليزيه» اليوم عن موطئ قدم استراتيجي في عقدة جغرافية تبدو بالغة الأهمية شرقي المتوسط، استكمالاً لطموح يقوم على إعادة بعث «المجد الإمبراطوري» لباريس، وذلك بالاستفادة من عاملين اثنين: أولاهما، انفتاح الأبواب السورية على مصاريعها الغربية، وثانيهما الزخم النفسي الذي يوفّره الشعور الجمعي بأن فرنسا كانت من أوائل الدول التي قطعت علاقاتها مع النظام السابق، ثمّ واصلت تعزيز دعمها للمعارضة السورية، يوماً بعد يوم.

غير أن هذا الحراك الفرنسي، الذي يستخضر في خلفيته «التربّص» الأميركي الساعي إلى الاستحواذ التامّ على «الكعكة» السورية، يبدو مشروطاً بمحدّدات صارمة؛ فعشية زيارة ماكرون إلى دمشق، نقلت وكالة «فرانس برس» تنبيهاً صادراً عن «الإليزيه» يؤكد أن «سوريا الجديدة لن تكون شريكاً لنا إلا بشرط أن تؤخذ تعهّداتها بالكامل في الاعتبار»، وأن باريس ستكون «صارمة في مطلبها»، وأنه «لا مجال لأن تحلّ سلطة إقصائية محلّ سلطة إقصائية أخرى».

اتفاق «الآخرين» على لبنان!

سعد الله مزرعاني *

ينهمك رئيس الجمهورية باستقبال الوفود، التي تمّ استدعاء معظمها على عجل، من أجل تأييد موقفه وموقف رئيس الحكومة بتوقيع اتفاق واشنطن في 2026/6/26. تُنفق مطالعاته على الهواء مباشرة في مطالع نشرات أخبار القنوات التي اختارت تسخير شاشاتها لتأييد نهج سلطة الثنائي عون/ سلام قبل وبعد توقيع الاتفاق المذكور.

لا يفوت أيّ مراقب، أن الرئيس عون يستأنف، من خلال ذلك أيضاً، جهداً مُركّزاً من أجل تعزيز دور الرئاسة الأولى. يحدوه في ذلك هدفان:

الأول، فنّوي، خلافاً لتعديلات «الطائف» بشأن صلاحيات الرئاسة الأولى (ولمواصلة قطع الطريق على إصلاحاته).

الثاني، شخصي، بهدف تكوين حيثية سياسية وشعبية تفتقر إليها تجربته المقتصرة على الحقل العسكري.

الأمران المذكوران يتكاملان في خدمة المهمة التي أوكلت إليه وإلى رئيس الحكومة كشرط لتبوّئهما المنصبين، بإحداث تحوّل انعطافي جذري في التوازنات الداخلية والخارجية اللبنانية. يقع كل ذلك، طبعاً، في سياق نتائج العدوان الإسرائيلي المتواصل على لبنان، وعدوان واشنطن وتل أبيب على إيران، وكذلك «الانقلاب» في سوريا، وخطة ترامب التصفوية في غزة أواخر أيلول الماضي.

في 28 شباط الماضي حصل العدوان الأميركي-الإسرائيلي على إيران. أوّله كان اغتيال المرشد السيد علي الخامنئي وعدد من أفراد عائلته ومساعديه. صادف ذلك انقضاء نحو 15 شهراً على ممارسة سياسة عدم الرد، من قبل المقاومة، على الانتهاكات الإسرائيلية الجسيمة لاتفاق «وقف الأعمال العدائية». شكّلت الصواريخ الستة التي أطلقها «حزب الله»، ذريعة لإطلاق مسار هجومي متكامل من قبل رأسَي السلطة التنفيذية استهلّاه بقرار تصنيف الجناح العسكري في «حزب الله» خارجاً عن القانون. شكّل القرار المذكور حدثاً نوعياً في سلسلة إجراءات مماثلة متواصلة استهدفت «حزب الله» وخياره المقاوم وبيئته في الحقول كافة، الأمنية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية والسياسية...

فلنعد إلى منطلق حكاية الرئيسين جوزيف ونواف. في ظروف مشابهة لما كان يعانيه لبنان وشعبه من احتلال إسرائيلي وانحياز أميركي، أثناء انتخاب الأول وتكليف الثاني، الردّ الطبيعي والصحيح والوطني المطلوب من قبل أي سلطة جديدة، هو بلورة خطة وطنية شاملة (رسمية وشعبية) لمواجهة المحتل المعتدي ودفعه إلى تطبيق الاتفاق الذي وقّعه، بمبادرة ووساطة أميركيتين، مع الحكومة اللبنانية، أواخر تشرين الثاني عام 2024. رئيسا الجمهورية والحكومة لم يكونا مُهيَّأين لمهمة مماثلة. هما وصلا إلى السلطة، لا من أجل مواجهة المحتل، بل من أجل مواجهة من يواجهه! لا داعيَ لاستعادة ما سبق الانتخاب ورافقه من تدخّلات ومهازل.

بعد ضمان الكرسي، بادرا إلى رفع شعار استعادة «قرار السلم والحرب» ومقولة «حصرية السلاح» في يد الدولة. أمّا مسألة الاحتلال، فوسيلتها الحصرية هي المفاوضات والتعويل على «أصدقاء لبنان» بعد «فشل» المقاومة. طيلة سنة كاملة من ممارسة السلطة لم يحرّكا ساكناً ضد إمعان المحتل في ممارسة القتل والتدمير والتهجير بدعم أميركي... إلى أن «بجّ» الرئيس عون مبادرة «المفاوضات المباشرة» فيما يشبه الاستجداء ووفق خلل قاتل لجهة مبدأ وظروف وتوازنات انعقادها. كانت عُدّة الشغل، في التوجّه والتبرير والرهان، قد اكتملت. سرعان ما تجلّى ذلك في المفاوضات وفي شروط إجرائها ونتائجها، وفي الاتفاق المسخ الذي وُقّع في واشنطن بعيداً عن المؤسسات الدستورية المعنية.

للتبرير، ركّزت المطالعات المتلفزة لرئيسَي الجمهورية (خصوصاً) والحكومة، على أربعة أمور: الأول: الحرب هي «حرب الآخرين».

الثاني: سقوط خيار المقاومة ومحورها وعجزهما عن مواجهة أميركا وإسرائيل.

الثالث: غياب أي بديل آخر من واشنطن رغم أنها الداعم الأكبر للمعتدي.

رابعاً: الاتفاق أفضل الممكن.

لن نبدأ النقاش من التذكير بأهداف ومخاطر المشروع الصهيوني في لبنان والمنطقة. لن نبدأ، أيضاً، من التأكيد على الأهمية السياسية والأخلاقية للتضامن مع الشعب الفلسطيني ضد حرب الإبادة (رغم أن هذين هما أحد أهم شروط الوحدة الوطنية بين اللبنانيين).

يبدأ النقاش، ببساطة، من الخلل في أصل المقاربة المُعتمدة: «المشكلة في المقاومة وليست في الاحتلال»! هذه هي المعادلة التي وجّهت عمل ومواقف رأسَي السلطة التنفيذية منذ تولّيهما المسؤولية حتى اليوم. وهي تفسّر لماذا أدارا الظهر لحكومة وحدة وطنية حقيقية، ثم، لماذا رفعا شعار «حصرية السلاح» في زمن الاحتلال وتصنيف المقاومين خارجين عن القانون والمساهمة في حصارهم سياسياً ومادياً. كذلك لماذا تعمّدا استفزاز طهران وقطع العلاقات معها لحساب وصاية أميركية شاملة على لبنان: وصاية لا أولوية لها سوى تمكين العدو من تحقيق كامل أهدافه بكل وأبشع الوسائل وأكثرها وحشية وإجراماً. ولماذا أيضاً، وبذريعة سيادة مضلّلة وبائسة، رفضا بديلاً من المفاوضات المباشرة المُقترنة بالقتل والدمار والتهجير، مخرجات «إسلام آباد»، حيث وافق الأميركي عليها مُكرهاً، ثم تملّص منها بحجة الرفض الرسمي اللبناني.

رغم كل ذلك، لم تسر الأمور على النحو الذي أراده الفريق الأميركي ومعه الثنائي الرئاسي. صمدت إيران. فاجأت المقاومة الجميع بتعافيها ومواجهتها الفعّالة للمحتل الذي تعاظمت خسائره البشرية خصوصاً. افتضحت المفاوضات، بعد الاتفاق، بأنها كانت عملية تنسيق بين أطراف فريق واحد في مواجهة المقاومة وأكثرية اللبنانيين. لخّص الزعيم وليد جنبلاط، قبل أيام، ذلك بشكل دقيق: «كانوا فريقاً واحداً. الاتفاق أملته إسرائيل. هي لا تريد السلام»!

يكابر الرئيس عون في تمسّكه بالسلم نفسه. زيّن له أحد مستشاريه، أن التجديد ممكن، كما حصل أثناء الوصاية السورية البائدة، بالمثابرة على الولاء للوصاية الأميركية السائدة. هل ثمة من سيسير إليه، مستدركاً، بأن التراجع عن الخطأ فضيلة وطنية؟!

* كاتب وسياسي لبناني

اتّفاق الإطار اللبناني - الإسرائيلي: هل يصبح لبنان مستعمرةً إسرائيلية؟ [2]

أسعد أبو خليل *

التحضير للمفاوضات

الاتّفاقُ المشؤوم كان مُعَدّاً قبل أن تندلع الحرب الأخيرة، في ما سُمّي بحرب إسناد إيران. الافتراض أنّ الحرب قد اندثرَ وأنّه لن يستفيقَ من الضربات التي تلاحقت، وبخاصّة بعد تفجيرات الـ«بيجرز» واغتيال نصرالله وصفي الدين وقادة «الرضوان». الافتراض كان منطقيّاً في ظاهره. كيف يمكن لحزب أو حركة مسلّحة أن تتعرّضَ لما تعرّض له الحزب في أشهر قليلة أن يبقى واقفاً؟ كيف يمكن لحزب نصرالله أن يستمرّ بعده؟ يبقى النقاش حول قرار الانخراط، إذا كان صائباً، أو لم يكن. إسرائيل كانت تُعِدّ العُدّة، وهي لم تتوقّف عن القتْل والتدمير حتى في الأشهر الخمسة عشر التي فصلت بين الحربَين. في تاريخها، هي لا تلتزم بميثاق أو تعهّد أو اتّفاق، لكنّ سلطة لبنان الساقطة تظنّ أنّ إسرائيل تغيّرت وأنّها، في مفاوضاتها مع لبنان، ستكون حسنة النّيّة والجوار. لم يكن هناك حتى إعداد لتشكيل الوفد. المهم هو الاستجابة السريعة لأوامر من واشنطن بناءً على رؤية اللّوبي الإسرائيلي، وبدعم سعودي.

رئيسة الوفد اللّبناني ليست معروفة من الشعب اللّبناني. ولم تكن معروفة حتى من رئيس الحكومة أو رئيس الجمهوريّة. الاسم أُسقِطَ على العهد من فوق، أو من واشنطن تحديداً. فريق عمل الصحناوي يتعامل بصورة يوميّة مع فريق عمل

> فريق عمل الصحناوي يتعامل بصورة يوميّة مع فريق عمل رئيس الجمهوريّة، والفريق الأوّل ليس إلّا مُنفّذاً لأوامر اللّوبي الصهيوني وأجندته

رئيس الجمهوريّة، والفريق الأوّل ليس إلّا مُنفّذاً لأوامر اللّوبي الصهيوني وأجندته. ندى حمادة مَعوّض كانت معروفة في نشاطات «مؤسّسة رينيه مَعوّض» وحفلاتها السنويّة، التي تجمع عُتاة كارهي العرب والمسلمين في البلاد، كما تحتفي باقطاب اللّوبي الصهيوني. تدرك دور «مؤسّسة رينيه مَعوّض» عندما تذكر أنّ بول وولفويتز وإليانا روس-ليتينن كانا يحضران حفلاتها، وأنّ مايك بومبيو (الذي يقف اليوم على يمين نتنياهو وترامب) كان من أشدّ المناصرين لـ«مؤسّسة رينيه مَعوّض» وأعمالها «في البيئة الشيعيّة» ولأسباب بريئة صرف. لكن نسأل: ما هو الدور الإنساني المحض الذي تقوم به المؤسّسة ولماذا من بين كلّ الأعمال الإنسانيّة لا يتحمّس الصهاينة إلّا لهذه المؤسّسة؟ طبعاً، السبب خيري لأنّ الصهاينة لديهم من الحسّ الإنساني الإحساني ما لا يتوفّر لباقي البشر.

الاتّفاق كان شرطاً من شروط التعامل الأميركي مع السلطة التي كانت مُعدّة من قبل أميركا لمهمّة واحدة لا غير، ألا وهي الاستفادة من حرب إسرائيل على الحزب كي تقوم السلطة بالإجهاز على الحزب بالكامل، وبكلّ الوسائل المُتاحة. ليس الموضوع المطروح (غرباً) هو الإصلاحات التي ترد فقط كسلاح بوجه معارضي أميركا. لاحظوا ولاحظن، لم يرد أيّ حديث عن الإصلاح في لبنان في أحاديث الحكومة الأميركيّة أو الحكومات الغربيّة والعربيّة. ليس هناك إلّا موضوع حزب الله. أكبر دليل على ذلك هو الإفراج الصفيق عن رياض سلامة: ليس هو الوحيد الذي أفسدَ وسرقَ لكنّه اختصر في شخصه الفساد السياسي والمصرفي والديني والسيادي (كان ينفّذ أوامر وزارة الخزانة الأميركيّة التي كانت تكافئه دوريّاً بالثناء وإبداء الثقة المُطلقة). شخص نواف سلام جاء من عل ولا يعرف أحد مصدره إلّا القريبين من السّعوديّين وحاملي مفاتيح سرّ الأوامر السعوديّة والإميركيّة في لبنان. كان جوزيف عون قد اتّفق، وبموافقة أميركيّة، مع نجيب ميقاتي كي يرأس أوّل حكومة له (الحكومة الأخيرة ألّفها ميقاتي وكان ديفيد هيل شبه مستشار له في تكوين الحكومة).

لا نُدري شيئاً عن مسار تكوين الوفد واختيار الأعضاء أو عن تعيين سيمون كرم، غير الخبير في المفاوضات الدوليّة. أمّا ندى حمادة، فهي ليست خبيرة في القانون أو الشأن السياسي أو الدبلوماسي. درست الأعمال في الجامعة الأميركيّة ثم تخصّصت في الماجستير في «التمويل» من جامعة جورج واشنطن. تعيينها بحدّ ذاته يفضح توجّهاتها السياسيّة وحماسها للمهمّة. لو أنّها تحمل شهادات متخصّصة أو خبرة دبلوماسيّة أو تفاوضيّة، لكان تعيينها منطقيّاً جدّاً. لكنّ تسميتها من دون مؤهّلات أو تفسيرات ومن دون أن تكون معروفة، يعني أنّ الذي عرفها وعرف مواقفها نحو إسرائيل قرّرَ أنّها خير مَن يقوم بالمهمة (أنّ الراعي لها هو المصرفي الذي خرج إلى العلن في واشنطن كصهيوني مُجاهر وكلبناني تربّى من قِبل والديه تربية صهيونيّة مسيحيّة-حسب شهادة مورغان أورتاغوس-يقضي على مصداقيّة المسار برمّته). السلطة الحالية لا تؤمن بالشفافية مع أنّ مؤيّديها من «ثوار» السعودية والإمارات في بلادنا لوّثوا آذاننا بشعارات الشفافيّة والديمقراطيّة عندما كان ميشال عون (عدوّهم، فقط بسبب تحالفه الذي لم يُعفَ، مع حزب الله) رئيساً.

آخر إطلالة لسيمون كرم قبل تبوّئه منصباً شبيهاً بمنصب صائب عريقات، ككبير المفاوضين، كانت في ذكرى حبيب صادق، الذي كان في الماضي السحيق يساريّاً وكان من أنصار مقاومة إسرائيل عسكريّاً. لكنّ كُثُراً تغيّروا. عدتُ أمس إلى النصّ الكامل الذي قراه سيمون كرم في ذلك اليوم في آخر عام 2025 كي أفهم سبب تعيينه من دون مقدّمات مفاوضاً أساسيّاً في المفاوضات المباشرة مع إسرائيل فعثرتُ على الجواب. الخطاب صهيوني في تبريراته وفي سرديّته التاريخيّة. يقول إنّ لبنان نعِمَ باستقرار وسلام لعقدَين بعد تاسيس إسرائيل حتى اتّفاق القاهرة في عام 1969. أي إنّ سيمون كرم هذا يرى أنّ تفجير إسرائيل للطائرات المدنيّة في مطار بيروت كان من ضمن الاستقرار الذي نعِمَ به لبنان بفضل نيات إسرائيل السلميّة نحو لبنان. هو طبعاً لا يرى أنّ ضرْب مضخّات المياه اللّبنانيّة في الجنوب في عام 1964 خرق عقدَي الاستقرار في العلاقة بين لبنان وإسرائيل. أمّا اغتيال المزارعين وخطف المدنيّين ورزْع جواسيس وقصْف طائرة لبنانيّة مدنيّة في تموز 1950 فكل ذلك لا يدخل في حسبانه لتقييم السلم الذي أضفته اتّفاقيّة الهدنة على لبنان. يستطيع أن يقيّم العقدَين حتى عام 1969 بهذه الطريقة لأنّه ختم حياته السياسيّة عضواً في قرنة شهوان، أصرخ تجمّع طائفي يميني رجعي منذ تأسيس «جبهة الحريّة والإنسان» ثمّ «الجبهة اللّبنانيّة» في ما بعد. وطائفيّة سيمون كرم تتجلّى في إهماله كلّ جنوب لبنان واهله في تقييم سياسات إسرائيل وممارساتها نحو لبنان. لم تقصف إسرائيل جنوبية في العقدَين ولم تخطف مواطنين من قرنة شهوان، ولهذا فإنّ نياتها سلميّة. وفي زمن تتبدّى فيه وحشيّة إسرائيل وإباديّتها على الشاشات العالميّة، فإنّ سيمون كرم يمنحها شهادات في الإنسانيّة، فيقول إنّ قصْفها للبنان كان «بدقّة»، وإنّها أصابت فقط ناشطين وأعضاء في الحزب. لا، هو يشمت في قدرة إسرائيل على قتْل أعدائها «بدقّة». لو كنتُ مكان إسرائيل لأصررتُ على أميركا أن تختار سيمون كرم من بين كلّ اللّبنانيّين كي يفاوضها لأنّه عملة نادرة في الانبهار بقصْف إسرائيل «الدقيق» حتى بعد إبادة أكثر من سبعين ألف فلسطيني في غزّة، وبعد قتْل الآلاف في لبنان. إسرائيل على الأرجح هي التي أملَت على الحكومة اختياره كما أملَت على أمين الجميّل اختيار أنطوان فتّال، الدبلوماسي اللّبناني الذي كان معروفاً من قِبل الإسرائيليّين قبل أن يحتلّ منصب المفاوض في اتّفاقات 17 أيّار. وسيمون الفلسفي والكلامي والعرفاني، لكنه لم يبقَ أسيره. أخذ من ابن سينا صرامة البرهان، ومن السهروردي لغة النور والحضور، ومن ابن عربي أفق الوحدة والتجدّد، ومن الكلام الإمامي حساسية النص والمعاد، ثم أعاد بناء ذلك كلّه داخل نسق واحد جعل الوجود مركز الفلسفة ومحورها.

أول وجوه هذه القطيعة يظهر في قلب العلاقة بين الماهية والوجود. في الفلسفة المشائية، ولا سيما عند ابن سينا، ظل سؤال «ما الشيء؟» يحتل موقعاً حاسماً. الماهية هي ما به يكون الشيء ما هو عليه، أمّا الوجود فيأتي كتحقّق يطرأ على الممكن. هذا التمييز كان بالغ الأهمية في تاريخ الفلسفة الإسلامية، لكنه أبقى الماهية في مركز التحليل. أمّا المُلّا صدرا فنقل مركز الثقل من الماهية إلى الوجود. لم يعد السؤال الأساسي: ما حقيقة الشيء من حيث ماهيته؟ بل: بأيّ مرتبةٍ من الوجود يتحقّق؟ وبذلك صارت الماهيات حدوداً ذهنية ينتزعها العقل، بينما الوجود هو الحقيقة العينية الأصيلة.

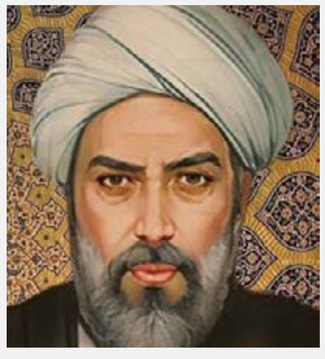

هذا التحوّل ليس تفصيلاً مدرسياً. إنه يبدّل صورة العالم كلّها. فإذا كانت الماهية هي الأصل، بدا العالم كأنه مجموعة طبائع ثابتة، أنواع وأجناس وحدود وفصول. أمّا إذا كان الوجود هو الأصل، فإن العالم يغدو درجات من الحضور والتحقّق، لا متحفاً للماهيات. من هنا تأتي نظرية التشكيك في الوجود: الوجود واحد في حقيقته، لكنه مُتدرّج في مراتبه، شديد وضعيف، كامل وناقص، غني وفقير. الكثرة ليست إذاً كثرة ماهيات مستقلة فحسب، بل كثرة مراتب وجودية. وهذا ما يسمح للمُلّا صدرا بأن يحفظ وحدة الحقيقة، وفي الوقت نفسه يفسّر تنوّع العالم وتعدّده.

ومن هنا المنطلق تأتي فكرته الأكثر ثورية: الحركة الجوهرية. في التصوّر الأرسطي والمشائي، الحركة تقع في الأعراض: في الكم والكيف والمكان والوضع. أمّا الجوهر فيبقى ثابتاً. حاملاً للتغيّرات التي تطرأ عليه. الجسم يتغيّر لونه أو حجمه أو مكانه، لكنه يبقى هو هو في جوهره. المُلّا صدرا قلب هذا التصوّر. فالوجود الطبيعي، عنده، لا يتحرّك في أعراضه فقط، بل في جوهره أيضاً. إنه ليس شيئاً ثابتاً تعبر عليه التغيّرات، بل هو صيرورة متصلة، وجود سيال، وتجدّد دائم.

بهذا المعنى، لم تعد الهوية ثباتاً جامداً، بل وحدة مسار. الشيء يبقى هو هو لا لأنه ساكن، بل لأنه يحفظ اتصال وجوده عبر التحوّل. الهوية هنا ليست نقيض الحركة، بل هي شكل من أشكالها. وهذا ما يجعل الحركة الجوهرية أكثر من نظرية في الطبيعة؛ إنها أنطولوجيا كاملة للعالم المادّي. المادّة ليست حاملاً خامداً للصور، بل استعداد دائم للتكمّل. والصورة ليست ختماً نهائياً يوضع على المادة، بل مرتبة في مسار تصاعدي. والزمن ليس ظرفاً خارجياً تمر فيه الأشياء، بل بعد من أبعاد تحقّق الموجود الطبيعي نفسه.

تتضح أصالة هذه الفكرة أكثر حين نصل إلى النفس. في التصوّرات القديمة، كانت النفس إمّا جوهراً مفارقاً هبط إلى البدن، كما في النزعة الأفلاطونية، وإمّا صورة للبدن، كما في الأرسطية، وإمّا حقيقة يثبتها المتكلم دفاعاً عن العقيدة والمعاد. أمّا المُلّا صدرا فطرح تصوّراً مختلفاً: النفس جسمانية الحدوث، روحانية البقاء. أي إنها تبدأ من البدن والطبيعة، لكنها لا تُختزل فيهما. إنها تنشأ من المادّة عبر الحركة الجوهرية، ثم تتدرّج وجودياً حتى تصير ذات

* كاتب عربي

(يتبع)

المُلّا صدرا والقطيعة الهادئة

نواف الموسوي *

ليس صدر الدين الشيرازي، المعروف بالمُلّا صدرا، مجرّد فيلسوف جاء في آخر السلسلة الإسلامية ليجمع ما تفرّق عند ابن سينا والسهروردي وابن عربي والمتكلّمين والعرفاء. هذه الصورة، على شيوعها، تظلم الرجل وتظلم مشروعه معاً. فهي تري وفرة الاقتباس، وتلاحظ حضور المصطلحات القديمة، وتتعقّب أثر المشائية والإشراق والعرفان في كتبه، ثم تنتهي إلى القول إن الحكمة المتعالية ليست سوى تركيب متأخّر لتراث سابق. غير أن التدقيق في بنية هذا المشروع يكشف أمراً مختلفاً: نحن أمام فلسفة جديدة وُلدت من داخل اللغة القديمة، لا ضدّها؛ فلسفة غيّرت وظيفة المفاهيم الموروثة، وأعادت ترتيب العلاقة بين الوجود والماهية، والثبات والحركة، والنفس والبدن، والمعرفة والوجود.

لهذا يصحّ وصف مشروع المُلّا صدرا بأنه «قطيعة هادئة». فهي قطيعة لأنها لا تكتفي بتكرار السابقين أو شرحهم، وهادئة لأنها لا تعلن الحرب عليهم ولا تلغيهم. لقد ظلّ صدرا ابن التراث الإسلامي الفلسفي والكلامي والعرفاني، لكنه لم يبقَ أسيره. أخذ من ابن سينا صرامة البرهان، ومن السهروردي لغة النور والحضور، ومن ابن عربي أفق الوحدة والتجدّد، ومن الكلام الإمامي حساسية النص والمعاد، ثم أعاد بناء ذلك كلّه داخل نسق واحد جعل الوجود مركز الفلسفة ومحورها.

أول وجوه هذه القطيعة يظهر في قلب العلاقة بين الماهية والوجود. في الفلسفة المشائية، ولا سيما عند ابن سينا، ظل سؤال «ما الشيء؟» يحتل موقعاً حاسماً. الماهية هي ما به يكون الشيء ما هو عليه، أمّا الوجود فيأتي كتحقّق يطرأ على الممكن. هذا التمييز كان بالغ الأهمية في تاريخ الفلسفة الإسلامية، لكنه أبقى الماهية في مركز التحليل. أمّا المُلّا صدرا فنقل مركز الثقل من الماهية إلى الوجود. لم يعد السؤال الأساسي: ما حقيقة الشيء من حيث ماهيته؟ بل: بأيّ مرتبةٍ من الوجود يتحقّق؟ وبذلك صارت الماهيات حدوداً ذهنية ينتزعها العقل، بينما الوجود هو الحقيقة العينية الأصيلة.

هذا التحوّل ليس تفصيلاً مدرسياً. إنه يبدّل صورة العالم كلّها. فإذا كانت الماهية هي الأصل، بدا العالم كأنه مجموعة طبائع ثابتة، أنواع وأجناس وحدود وفصول. أمّا إذا كان الوجود هو الأصل، فإن العالم يغدو درجات من الحضور والتحقّق، لا متحفاً للماهيات. من هنا تأتي نظرية التشكيك في الوجود: الوجود واحد في حقيقته، لكنه مُتدرّج في مراتبه، شديد وضعيف، كامل وناقص، غني وفقير. الكثرة ليست إذاً كثرة ماهيات مستقلة فحسب، بل كثرة مراتب وجودية. وهذا ما يسمح للمُلّا صدرا بأن يحفظ وحدة الحقيقة، وفي الوقت نفسه يفسّر تنوّع العالم وتعدّده.

ومن هنا المنطلق تأتي فكرته الأكثر ثورية: الحركة الجوهرية. في التصوّر الأرسطي والمشائي، الحركة تقع في الأعراض: في الكم والكيف والمكان والوضع. أمّا الجوهر فيبقى ثابتاً. حاملاً للتغيّرات التي تطرأ عليه. الجسم يتغيّر لونه أو حجمه أو مكانه، لكنه يبقى هو هو في جوهره. المُلّا صدرا قلب هذا التصوّر. فالوجود الطبيعي، عنده، لا يتحرّك في أعراضه فقط، بل في جوهره أيضاً. إنه ليس شيئاً ثابتاً تعبر عليه التغيّرات، بل هو صيرورة متصلة، وجود سيال، وتجدّد دائم.

بهذا المعنى، لم تعد الهوية ثباتاً جامداً، بل وحدة مسار. الشيء يبقى هو هو لا لأنه ساكن، بل لأنه يحفظ اتصال وجوده عبر التحوّل. الهوية هنا ليست نقيض الحركة، بل هي شكل من أشكالها. وهذا ما يجعل الحركة الجوهرية أكثر من نظرية في الطبيعة؛ إنها أنطولوجيا كاملة للعالم المادّي. المادّة ليست حاملاً خامداً للصور، بل استعداد دائم للتكمّل. والصورة ليست ختماً نهائياً يوضع على المادة، بل مرتبة في مسار تصاعدي. والزمن ليس ظرفاً خارجياً تمر فيه الأشياء، بل بعد من أبعاد تحقّق الموجود الطبيعي نفسه.

تتضح أصالة هذه الفكرة أكثر حين نصل إلى النفس. في التصوّرات القديمة، كانت النفس إمّا جوهراً مفارقاً هبط إلى البدن، كما في النزعة الأفلاطونية، وإمّا صورة للبدن، كما في الأرسطية، وإمّا حقيقة يثبتها المتكلم دفاعاً عن العقيدة والمعاد. أمّا المُلّا صدرا فطرح تصوّراً مختلفاً: النفس جسمانية الحدوث، روحانية البقاء. أي إنها تبدأ من البدن والطبيعة، لكنها لا تُختزل فيهما. إنها تنشأ من المادّة عبر الحركة الجوهرية، ثم تتدرّج وجودياً حتى تصير ذات مرتبة روحانية.

هذه العبارة وحدها تكشف حجم التحوّل. فالبدن ليس سجناً للنفس، ولا النفس إفرازاً مادّياً عابراً. البدن رحم النفس الأول، والنفس كمال المادّة حين تتجاوز ذاتها. وبذلك يتجاوز المُلّا صدرا الثنائية الحادّة بين الجسد والروح. العلاقة بينهما ليست علاقة غريبين، ولا علاقة اختزال، بل علاقة تدرّج وجودي. الإنسان ليس كائناً مكتملاً منذ البداية، بل مشروع صيرورة، يبدأ من الطبيعة ويتّجه نحو مرتبة أعلى من الوجود.

ومن هنا تتغيّر نظرية المعرفة أيضاً. المعرفة في الفلسفة المشائية كانت غالباً حصول صورة الشيء في العقل. العقل يدرك الماهية المُجرّدة عن المادة، فيحصل العلم. أمّا عند المُلّا صدرا، فالعلم ليس مجرّد صورة ذهنية، بل هو نحو من الوجود. المعرفة حضور، واتحاد، واستكمال للذات العارفة. لذلك تحتل فكرة العلم الحضوري واتحاد العاقل والمعقول موقعاً أساسياً في مشروعه. العارف لا يقف خارج الحقيقة كما تقف المرآة أمام الشيء، بل يتحوّل بالمعرفة، ويشتد وجوده بها.

هكذا تصبح المعرفة حدثاً أنطولوجياً لا عملية ذهنية فقط. كلّما اشتدّ الوجود اشتدّ الحضور، وكلّما اشتدّ الحضور اشتدّت المعرفة. والفلسفة، تبعاً لذلك، ليست تمريناً نظرياً بارداً، بل هي مسار تكمّل. إن معرفة الحقيقة لا تعني إضافة معلومات إلى الذهن، بل ترقية الذات في مراتب الوجود. لذلك ظلّ مشروع المُلّا صدرا قريباً من اللغة الروحية والدينية، من غير أن يفقد طابعه البرهاني. فهو لا يفصل بين العقل والذوق والنص، بل يجعلها مسارات متكاملة نحو حقيقة واحدة.

وتظهر هذه الرؤية بوضوح في مسألة المعاد. فالمعاد عنده ليس مُلحقاً عقائدياً يضاف إلى الفلسفة من خارجها، بل نتيجة من نتائج أنطولوجيته. إذا كانت النفس تبني وجودها عبر أفعالها ومعارفها وملكاتها، فإن الآخرة ليست مسرحاً خارجياً فحسب، بل ظهور حقيقة النفس وما صنعته من ذاتها. الأعمال ليست حوادث عابرة تمضي وتنتهي، بل صور وجودية تتراكم في النفس وتكوّن مصيرها. بهذا يكتسب الأخلاق معنى عميقاً: الفعل لا يترك أثراً قانونياً أو نفسياً فقط، بل يساهم في بناء الكائن نفسه.

لذلك لا يمكن فهم الحكمة المتعالية بوصفها جمعاً انتقائياً بين مدارس مختلفة. الجمع قد يكون أحياناً تكرارياً، لكنه عند المُلّا صدرا تحوّل. فالمفاهيم القديمة بقيت حاضرة، لكنها لم تعد تعمل بالمعنى نفسه. الجوهر لم يعد جوهر أرسطو الثابت. الوجود لم يعد مفهوماً عاماً ينتزعه الذهن. النفس لم تعد نفس ابن سينا كما هي. الإشراق لم يعد إشراق السهروردي وحده. والعرفان لم يبقَ كشفاً روحياً منفصلاً عن البرهان. كل ذلك دخل في نظام جديد جعل الوجود المُتدرّج المتحرّك أساس النظر إلى الله والعالم والإنسان والمعرفة والمصير.

وهنا تكمن أهمية المُلّا صدرا في تاريخ الفلسفة الإسلامية. فقد جاء بعد مرحلة بدا فيها أن الفلسفة استنفدت طاقتها في الشروح والحواشي، فأعاد فتحها من الداخل. نقلها من سؤال ترتيب الموجودات إلى سؤال اشتداد الوجود، ومن منطق التصنيف إلى منطق التحوّل، ومن عالم الماهيات الثابتة إلى عالم الصيرورة. لم يلغِ الماضي، بل جعله مادة لفلسفة لم تكن ممكنة قبله.

القطيعة الصدرائية، إذاً، ليست قطيعة صاخبة ولا ثورة لغوية ظاهرة. إنها أعمق من ذلك: قطيعة في البنية لا في الألفاظ. فقد ظل المُلّا صدرا يتكلم لغة القدماء، لكنه بدّل هندستها الداخلية. ومن هنا يمكن القول إن الحكمة المتعالية لم تكن خاتمة متأخرة للفلسفة الإسلامية، بل كانت افتتاحاً جديداً داخلها. إنها فلسفة تقول إن الحقيقة وجود، وإن الوجود مراتب، وإن العالم حركة، وإن الإنسان صيرورة، وإن المعرفة ترقٍّ، وإن الآخرة كشف لما صار إليه الكائن. بهذه الرؤية صار المُلّا صدرا ابن التراث وناقضه في آن واحد: استوعبه، ثم تجاوزه من داخله.

* نائب سابق، مسؤول «ملف الموارد والحدود» في «حزب الله»

المقال كاملاً على الموقع

كأس العالم

افقد الفرنسيون جميع المنافذ (ويب)

فرنسا تفرض سطوتها
نهاية الحلم المغربي

فرض المنتخب الفرنسي سطوة محسوبة تكتيكياً، قيّد من خلالها مفاتيح لعب المنتخب المغربي وتحكم في المساحات ثم استثمر الجودة الفردية للاعبيه كيليان مبابي وعثمان ديمبيلي ليحسم المواجهة بنتيجة (2 – 0) دون مشكلات تذكر!

* محمد صعب

دخل المنتخبان الفرنسي والمغربي مباراة ربع نهائي كأس العالم 2026، برسم أساسي 1-4-2-3-1، لكن مع الاختلاف في طريقة توزيع المهمات وتوظيف اللاعبين بناء على ديناميتهم. على صعيد المنتخب الفرنسي وتحديداً عند الاستحواذ تحول شكل الفريق إلى 1-3-2-5 أو 5-3-2-1 مع اتساع الجناحين، ليمنح هذا الرسم، الفريق مساحات بعرض الملعب وتحرك أحد لاعبي الارتكاز نحو الخلف للمشاركة في البناء، مع دخول لاعبي الوسط الهجومي إلى ما يُسمّى منطقة بين خطي الوسط والدفاع، ومع هذا التوزيع نجح الفرنسيون في توسيع الكتلة المغربية وخلق ممرات تمرير حول خط الوسط.

لم تعتمد فرنسا على الاستحواذ البطيء، بل استخدمت تدوير الكرة لاستدراج المغرب إلى أحد الجانبين قبل نقل اللعب سريعاً إلى الطرف المقابل أو تمرير الكرة بين الخطوط، كما وضع تحرك مبابي المستمر خارج مركز المهاجم الصريح الدفاع المغربي في مشكلة إضافية، لأنه أجبر ديوب ومزراوي غير المتعود على مركز قلب الدفاع إلى الخروج والتحرك وفق إرادته ليس كما كان مخططاً من قبل المدرب. هذه الديناميكية من مبابي أربكت منظومة الدفاع المغربي ما أسفر عن ركلة جزاء ضائعة.

في المقابل، تراجع المغرب من 1-4-2-3 إلى 1-5-4-1 عند فقدان الكرة بعودة الجناحين إلى خط الوسط وبقاء إبراهيم دياز وحيداً في الأمام في ظل غياب الصيباري المصاب.

أسهم هذا التنظيم في إغلاق العمق وتأخير الخطر الفرنسي إلى حد ما، خصوصاً خلال الشوط الأول، لكن المشكلة كانت في التراجع المبالغ فيه، ما وسّع المسافة بين دياز (الذي تقمص دور المهاجم) وبقية الفريق.

معضلة المغرب في استعادة الكرة

وجد المغرب صعوبة بالغة عند استعادة الكرة وفي لحظة التحول من الدفاع للهجوم نتيجة الضغط الفرنسي، والذي كان فكرة هندسية منظمة تبدأ فور وصول الكرة إلى الطرف أو استلام أحد اللاعبين وظهره إلى المرمى، مباشرة يغلق المهاجمون خطوط التمرير نحو العمق، ويتقدم لاعبو الوسط لمهاجمة حامل الكرة، فيما يضغط الظهير على الجناح المغربي. ومعها تمت محاصرة المغرب قرب الخطوط الجانبية مما اضطرهم إلى إرسال كرات طويلة افتقدت المساندة العددية كما افتقدت الصيباري وقدرته على بناء المحطات الهجومية. كذلك نجحت فرنسا في تحييد أشرف حكيمي عبر مضاعفة الرقابة على جهته وإجباره على الاستلام بعيداً من المناطق الخطرة، كما شكّل وجود مبابي خلفه تهديداً دائماً ما حدّ من اندفاعه الهجومي وأفقد المغرب أحد أهم أسلحته.

معاناة هجومية وحاجز دفاعي

عانى المغرب من غياب الكثافة داخل منطقة الجزاء تحديداً عند وصول الكرة إلى الأطراف، حيث بقي إبراهيم دياز معزولاً بين قلبي الدفاع، فيما غاب لاعبو الوسط التاخر في المساندة، لذلك أصبحت العرضيات متوقعة وسهلة نسبياً على الدفاع الفرنسي. ومن جهة ثانية، تحولت فرنسا بدورها إلى 1-4-4-2، مع تقدم أحد لاعبي الوسط الهجومي إلى جوار مبابي وعودة الجناحين إلى الخلف. هذا الشكل أغلق العمق ووجّه بناء المغرب نحو الأطراف، كما منح ثنائي الارتكاز حماية مستمرة أمام قلبي الدفاع.

انتصرت فرنسا لأنها امتلكت أكثر من حل: البناء من الخلف، اللعب عبر الأطراف، التحرك في أصغر المساحات، والانتقال السريع بعد استعادة الكرة. أما المغرب، فنجح في الصمود بفضل الحارس ياسين بونو المتميز لكنه افتقد القدرة على تحويل الاسترجاع إلى هجوم، كما عجز عن صناعة كثافة كافية في الثلث الأخير.

وهكذا، لم تفز فرنسا بالقوة الفردية وحدها، بل بقدرتها على فرض شكل المباراة والتحكم في إيقاعها ومساحاتها. وبين مرونة ديشان وسرعة مبابي وديمبيلي، طُويت صفحة الحلم المغربي.

* محلل كروي

> **وجد «أسود الأطلس» صعوبة بالغة عند استعادة الكرة وفي لحظة التحول من الدفاع للهجوم نتيجة الضغط الفرنسي**

من الملاعب

مدرّب كوريا الجنوبية تحت التهديد!

أكد مدرب منتخب كوريا الجنوبية لكرة القدم هونغ ميونغ بو، أنه تلقى تهديدات بالقتل هو وعائلته عقب الخروج من الدور الأول من المونديال، الأمر الذي دفعه إلى مغادرة كوريا إلى الولايات المتحدة الأميركية.

وأوضح بو، في بيان رسمي أصدره بعد أسبوعين من الإقصاء، أن سفره الأسبوع الماضي لم يكن هروباً من التبعات الرياضية، بل خطوة اضطرارية لحماية سلامة أسرته الشخصية بعد تصاعد حدة التهديدات، مضيفاً: «بصفتي رب أسرة، كان عليّ واجب حتمي بحمايتهم، خصوصاً بعدما بدأت تُنشر شائعات لا أساس لها من الصحة وكأنها حقائق». وجاءت هذه الأزمة الأمنية والشخصية للمدرب عقب موجة غضب عارمة واجهها الشارع الرياضي في كوريا الجنوبية، إثر توديع المنتخب للمونديال من الدور الأول بفوز وحيد في ثلاث مباريات، كانت آخرها الخسارة الصادمة والمفاجئة أمام منتخب جنوب أفريقيا. وقال بو في معرض اعتذاره: «أعتذر بصدق لجميع المواطنين الذين أحبوا ودعموا كرة القدم الكورية، لقد فشلت في تحقيق النتائج التي كانت البلاد تتوقعها، وبصفتي مدربًا أتحمل هذه المسؤولية بكل جدية». وبرر المدرب الكوري التزامه الصمت طوال الفترة الماضية برغبته في تحمل عبء النتيجة بمفرده، قبل أن تجبره التهديدات المباشرة والشائعات على توضيح موقفه للرأي العام.

إيجابيات للعرب رغم الإقصاء

ثمانية منتخبات عربية ودّعت مونديال 2026، كان آخرها المغرب الذي خسر أمام فرنسا بهدفين دون رد في ربع النهائي، ليفشل بتكرار إنجاز مونديال قطر 2022 عندما وصل إلى نصف النهائي وخسر أمام فرنسا نفسها. ورغم الخسارة ثبّت منتخب المغرب مكانه بين الكبار، وأن مشروعه الكروي مستمر. من جهته سجل منتخب مصر أفضل مشاركة مونديالية في تاريخه، بعدما تجاوز دور المجموعات لأول مرة، وحقق أول انتصار مونديالي في تاريخه على حساب نيوزيلندا، ثم واصل مشواره حتى ثمن النهائي. وكان المنتخب المصري على أعتاب كتابة إنجاز استثنائي أمام الأرجنتين، بعدما تقدم بهدفين نظيفين قبل الدقائق الأخيرة، قبل أن تنتهي المباراة بخسارة مثيرة وسط جدل تحكيمي واسع. ورغم الخسارة أيضاً، وصلت الجزائر إلى الدور الثاني للمرة الأولى بعد نسخة 2014. أما السعودية، فرغم توديعها المونديال من الدور الأول، فإنها لم تخسر سوى مباراة واحدة كانت أمام إسبانيا، حتى أن الأردن سجل بداية واعدة في أول مشاركة له، والعراق عاد إلى البطولة لأول مرة منذ نسخة 1986، وهذا كله يمكن البناء عليه.

أرقام من المونديال

دخلت بطولة كأس العالم في مراحلها الأخيرة مع انطلاق الدور ربع النهائي. 97 مباراة أقيمت حتى كتابة هذه السطور سجّلت أرقاماً تؤشر إلى شكل المنافسة على اللقب، حيث يتنافس منتخبا فرنسا وإسبانيا على صعيد تسجيل أعلى الأرقام مع حضور أرجنتيني بنسبة أقل. من المستحيل أن يكون النهائي بين فرنسا وإسبانيا التي بقيت شباكها نظيفة في خمس مباريات متتالية، لكن من المرجح أن يكون أحدهما في النهائي في مواجهة الأرجنتين صاحبة المسار الأسهل نحو النهائي. في ما يأتي أعلى الأرقام التي سجلتها المنتخبات وبعض اللاعبين قبل لقاء إسبانيا وبلجيكا في الدور ربع النهائي.

إعداد عبد القادر سعد

الأكثر تهديفاً

يتصدر منتخب فرنسا قائمة المنتخبات الأكثر تهديفاً مع تسجيله 16 هدفاً في ست مباريات وخلفه منتخب الأرجنتين بـ14 هدفاً في خمس مباريات، ثم بلجيكا (13)، النروج (12)، وهولندا (11).

الأكثر دقّة

يدخل منتخب الأرجنتين في قائمة الإحصائيات من بوابة المنتخب الأكثر دقّة بتمريراته مع تسجيله نسبة 91%، متقدماً على إسبانيا والجزائر وفرنسا والبرازيل (90%).

الأكثر هجوماً

يحتل منتخب فرنسا المركز الأول في عدد المحاولات على المرمى مع تسجيله 110 محاولات، متقدماً على بلجيكا (107)، كولومبيا (94)، إسبانيا (93) وكندا (81).

الهداف

يتصدر الفرنسي كيليان مبابي قائمة هدافي مونديال 2026 مع 8 أهداف متساوياً مع الأرجنتيني ليونيل ميسي لكن متفوقاً عليه بالتمريرات الحاسمة (3 لمبابي وواحدة لميسي)، يليهما النروجي إرلينغ هالاند بسبعة أهداف، والإنكليزي هاري كين (6)، والفرنسي عثمان ديمبلي (5).

الأكثر استحواذاً

يتصدر منتخب إسبانيا لائحة المنتخبات الأكثر استحواذاً على الكرة (59%)، أمام تركيا (58% رغم خروجها من الدور الأول)، يليهما الجزائر (56%)، وكوريا الجنوبية (56% رغم خروجها من الدور الأول)، وألمانيا (56%).

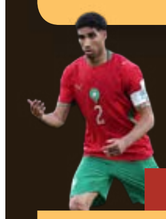

الأكثر جرياً

قطع المغربي نيل إيناوي حوالى سبعين ألفاً وخمسمئة متر في المباريات التي خاضها ليكون الأكثر جرياً بين جميع لاعبي بطولة كأس العالم. وحلّ الفرنسي مايكل أوليسيه خلفه (64,306)، المغربي أشرف حكيمي (63,750)، ثم البلجيكي يوري تيلمانز (61812)، ثم الكرواتي أندرياس كوباس (60749).

المعمر الحاسم

يحتل الصدارة، اللاعب الفرنسي مايكل أوليسيه بخمس تمريرات وخلفه المغربي إبراهيم دياز (4)، البرازيلي برونو غيمارايس (4)، المكسيكي روبرتو ألفارو (3)، والنروجي مارتن أوديغارد (3).

الأكثر إهداراً

أضاع الأرجنتيني ليونيل ميسي 4 ركلات جزاء في المونديال (2 في 2026 و2 في النسخ السابقة)، وهو الرقم الأعلى للاعب تاريخياً

الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 11 تموز 2026 العدد 5822

قضية

مبادرة توثيق للشهداء الأطفال في لبنان
لن ننسى «حبّات القلوب»

تنطلق مبادرة «حبّات القلوب» لحفظ ذاكرة أكثر من 700 طفل شهيد جرّاء العدوان الإسرائيلي على لبنان، عبر توثيق أسمائهم وحكاياتهم، وإتاحة مساحة لأهاليهم وللأطفال الجرحى. وتسعى المبادرة، التي يقودها متطوّعون وطلّاب جامعيون، إلى تحويل الفقد إلى فعل تعافٍ، ودعم المسارات القضائية والسياسية الهادفة إلى فضح جرائم الاحتلال ومحاسبته

علي سرور

في زمنٍ علت فيه أصوات النشاز، وظنّ أهل الباطل أنّهم على حقّ، وتجرّأ بعض الساسة اللبنانيّين على وصف القوات الإسرائيلية بـ «الجيش الإنساني»، تضيع بين أرقام آلاف الشهداء ذكرى مئات الأطفال الأبرياء. وبين الاحتلال الذي أنهى على حياتهم، والسلطة اللبنانية التي اغتالت ذكراهم وتنازلت عن حقّها في محاسبة قاتلهم، دخلت نُخب المجتمع الأهلي على خطّ المواجهة لتحمّل مسؤوليّة الرُضّع والأطفال المهدورة دمائهم.

في هذا السياق، تنطلق مبادرة من المجتمع المدني بعنوان «حبّات القلوب» يوم الثلاثاء المقبل، لحفظ ذاكرة الضحايا جرّاء العدوان الإسرائيلي على لبنان. وترعى الاحتفال رئيسة لجنة المرأة والطفل النيابية، عناية عزّ الدين، إلى جانب وزير الصحة، ركان ناصر الدين، في مبادرة ترتكز على حفظ ذاكرة أكثر من 700 طفل شهيد. يتخلل الاحتفال فيديو تعريفي بالمبادرة، إلى جانب كلمات لكل من: وزير الصحّة ركان ناصر الدّين، والنائب عناية عزّ الدّين، والجريحة أماني سامي برّي، والنائب الطبيب إلياس جرادي والطبيب المناضل غسان أبو ستّة ومؤسس المبادرة حسام مطر، مع عرض فيديو قصير عن الشهداء الأطفال.

ذاكرة الأطفال الضحايا

من جهته، قال مؤسس المبادرة، حسام مطر، لنا إنّها نتاج عمل تطوّعي أهلي وجهد من مجموعة طلّاب جامعيين، تمكّنوا عبر لوائح وزارة الصحّة الحصول على بيانات الأطفال، إضافة إلى تجميع معلومات أخرى عبر المنصات والمواقع والعلاقات الشخصية. وأشار مطر في هذا الإطار، إلى أنّ «المجتمع كان شريكاً فعلياً في عملية التوثيق»، لافتاً إلى أنّ اللائحة الحالية تغطّي حوالى 90 في المئة من العدد الفعلي، على أن يُسهم إطلاق المبادرة في جمع المعلومات المتبقية.

من جانبٍ آخر، تخلق المبادرة مساحةً للمجتمع من أجل الكتابة عن الأطفال الشهداء والجرحى لحفظ حكاياتهم. بالنسبة إلى الشهداء، يشرح الباحث اللبناني أنّ فتح مواضيعهم يُساعد الأهالي على التعبير عن مشاعرهم ولمس تضامن المجتمع مع حزنهم. إضافة إلى ذلك، يرى مطر أنّ المجتمع بحاجة إلى التفريغ النفسي وتناقل روايات الأطفال الشهداء وعرض قصصهم كنماذج تقتدي بها الأجيال الصاعدة.

ومن ضمن المبادرة، سيُخصّص قسم للأطفال الجرحى حيث ستسمح لهم مساحة محدّدة برواية قصص تعافيهم. لذلك يعتبر مطر أنّ أحد أهداف المشروع هو إظهار ثقة المجتمع بنفسه وبقدرته على التضامن للنهوض من التحدّيات، «فالمبادرة ليست لتخليد مأسة، بل لتحويلها إلى فعل للتعافي واستجمام الهمم وبناء الإرادات، عبر الاستفادة من قصص الأطفال الجرحى التي تُلهم المجتمع وتبثّ فيه الأمل والقوة».

مسارات قضائية وسياسية

في سياق المسار القضائي، يشير الباحث المختص في العلاقات الدولية، إلى أنّ الهدف يتمثّل في تحصيل مشروعية في إدانة العدوان وإظهار جرائم «إسرائيل»، ومواكبة الزخم العالمي في فضح الإبادة والعنصرية والاحتلال والاستيطان. واعتبر أنّ إثارة قضايا الجرائم الإسرائيلية في جميع المحافل يُبقي «إسرائيل» تحت الضغط، ولا سيّما أنّ قادة الاحتلال يرون في خسارة معركة الرأي العام الغربي وجزء من نخبه هزيمة استراتيجية لتل أبيب.

وبمعزل عن النتائج القضائية وإمكانية إصدار أحكام لمحاسبة الاحتلال، يشير مطر إلى أنّ لهذا المسار تأثيراً سياسياً في تكريس صورة «إسرائيل» الإجرامية وسلب مفاعيل سردياتها. ويُضيف حسام مطر، «بما أنّنا الطرف الأضعف عسكرياً، نُحاول تعويض ذلك من خلال تقوية مشروعية قضيّتنا وإضعاف رواية العدو». لذلك يُلخص أنّ المبادرة تعمل ضمن هذا السياق، لحفظ ذاكرة هذا العدوان وفضح الإبادة الإسرائيلية.

الجدير بالذكر أنّ مطر تطرّق إلى أنّ موقف الدولة اللبنانية الأخير ضمن اتفاق الإطار مع «إسرائيل»، يزيد من حجم المسؤولية الملقاة على عاتق المجتمع المدني ونخبه لتجريم الاحتلال وفضح ارتكاباته.

*** إطلاق مبادرة «حبّات القلوب» - ذاكرة الضحايا الأطفال جرّاء العدوان الإسرائيلي على لبنان ا 2023 - 2026 »: الثلاثاء 14 تمّوز 2026 ا 6:00 مساءً - «مسرح رسالات» قرب السفارة الكويتية (بئر حسن).**
للاستعلام: 81/900446

بيان

حملة المقاطعة: تحرّوا قبل أن تدعوا

أثارت مشاركة كانت مقررة لطبيبة إسرائيلية في مؤتمر طبي لبناني موجة غضب واعتراض، قبل أن تُلغى في الساعات الأخيرة التي سبقت انطلاق المؤتمر. وفي بيان حمل عنوان «طبيبة إسرائيلية في مؤتمر لبناني؟ تحرّوا قبل أن تدعوا»، دعت «حملة مقاطعة داعمي «إسرائيل» في لبنان» الهيئات والنقابات والمؤسسات إلى التدقيق في هويات ضيوفها، محذّرة من تكرار حوادث مماثلة.

تعود القضية إلى «المؤتمر الربيعي الجراحي اللبناني السابع والعشرين» الذي نظمته «الجمعية اللبنانية للجراحة العامة» برعاية وزير الصحة العامة ركان ناصر الدين، يومي 3 و4 تموز (يوليو) في فندق «لوروايال» في ضبية. وبحسب بيان الحملة، ظل اسم الطبيبة الإسرائيلية شارونا روس مدرجاً ضمن برنامج المتحدثين في جلسات اليوم الأول، على أن تشارك عبر تطبيق «زوم»، حتى وقت قصير قبل افتتاح المؤتمر.

إلغاء المشاركة بعد موجة اعتراض

وأشار البيان إلى أن نقابة الأطباء ووزير الصحة تدخلا وطالبا الجمعية المنظمة بإلغاء مشاركة روس، بعد اتصالات وضغوط وموجة رفض واسعة، ولا سيما عبر مواقع التواصل الاجتماعي. ولفتت الحملة إلى أن روس سبق أن خدمت لمدة سنتين في «الجيش» الإسرائيلي، وأنها تشير علناً إلى هذه الخدمة على صفحاتها في مواقع التواصل الاجتماعي. واعتبرت أن هذه المعطيات كان يمكن الوصول إليها بسهولة لو أجرى منظمو المؤتمر تدقيقاً مسبقاً في هوية المتحدثة وخلفيتها.

ووفق ما نقلته الحملة، اقترح طبيب لبناني مغترب مشاركة روس في المؤتمر، فيما قال المنظمون إنهم لم ينتبهوا إلى جنسيتها الإسرائيلية. وانتقد البيان هذا التبرير، معتبراً أنه يكشف غياب إجراءات التحقق الأساسية قبل توجيه الدعوات إلى المشاركين.

كما استهجنت الحملة طرح بعض المنظمين الاكتفاء بحذف اسم الطبيبة من جدول المؤتمر مع الإبقاء على مشاركتها، قبل أن تُلغى المشاركة بالكامل.

دعوة إلى التدقيق قبل الاستضافة

وربطت «حملة مقاطعة داعمي «إسرائيل» في لبنان» الحادثة بما وصفته بتزايد المواقف التطبيعية، محمّلة السلطة اللبنانية مسؤولية «التساهل المتعمد في موضوع العداء للكيان الإسرائيلي» والتراجع عن ملاحقة إسرائيل في المحافل الدولية.

ودعت المسؤولين السياسيين وإدارات الدولة ووسائل الإعلام والنقابات والهيئات والأفراد إلى التدقيق المسبق في هوية أي شخص تتم مقابلته أو استضافته أو دعوته إلى نشاط في لبنان، ولا سيما أن بعض الإسرائيليين يحملون جنسيات أخرى إلى جانب الجنسية الإسرائيلية.

ورأت الحملة أن واقعة المؤتمر الطبي تكشف ضرورة وضع آليات تحقق أكثر جدية، في ظل سهولة الوصول إلى المعلومات العامة عن المشاركين وخلفياتهم المهنية والعسكرية.

وفي ختام بيانها، جدّدت الحملة دعوتها اللبنانيين إلى الانخراط في «أشكال المقاومة الرديفة» عبر نشر ثقافة المقاطعة وتوسيعها لتشمل المجالات الأكاديمية والفنية والرياضية والثقافية.

الأخبار al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير: ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول وفيق قانصوه

مجلس التحرير: امل الأندري، محمد دهيبة، وليد شرارة، دعاء سويدان، جمال غصن، حسين سمور

المدير الفني: صلاح الموسى

المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات: الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع: شركة الأوائل 03 / 828381 ـ 01 /666314 ـ 15
الموقع الالكتروني: www.al-akhbar.com

الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com
ملحق أسبوعي
كلمات
السبت 11 تموز 2026
العدد 5822 السنة العشرون
Samedi 11 Juillet 2026 no 5822 20ème année

3-2

مسرح التعزية العاشورائي: أدخل الجنة وعيناي مليئتان بالأشواك

توماس كول (1801–1848) ـ «مسار الإمبراطورية: الدمار» (1836، زيت على قماش، 100 × 161 سم)

أميركا بين حريقين

سعيد محمد

تتبدى التجربة الأميركية، بعد مرور ربع ألفية، بوصفها بنية تاريخية مركَّبة، تتجاوز خطيّة الزمن المألوفة لتكشف عن مأزق وجودي يتجذّر في صيرورة الانتقال من أطروحة الجمهورية الوليدة القائمة على التمرد على المركز الإمبراطوري البريطاني، إلى تموضع إمبراطوري أكثر عتواً يمتلك أدوات الهيمنة الشاملة: أساطيل حربية، وقواعد عسكرية ممتدة، وعملة مهيمنة، وشركات احتكارية عابرة للقارات، تصوغ شروط الوعي العالمي، وتملي لغتها الخاصة على المجتمعات التابعة.

يستوجب تفكيك هذه الصيرورة النفاذ بالرؤية النقدية إلى ما وراء الخطاب الاحتفالي الرسمي، لمساءلة لحظة التأسيس الأولى، التي رسمت كفعل سياسي واقتصادي قادته نخبة برجوازية وفكرية، نجحت في تجييش طاقات البحارة، والحرفيين، والمهاجرين المسحوقين الفارين من شروط العيش الطاحنة في القارة العجوز، لتؤسس كياناً دولتيّاً يتغذى على امتصاص فائض القيمة البشري والمادي داخل أميركا نفسها، وفي أعالي البحار.

المنظور النقدي الذي تقدمه بعض القراءات الأحدث لتجربة الثورة الأميركية مثل كتاب توم كترهام الجديد «الإمبراطورية تحترق» (2026)، يعيد ربط حدث التأسيس بسياق الصراع الطبقي الأوسع، مخرجاً السردية التاريخية من الأسطورة الرومانسية المتمحورة حول «الآباء المؤسسين» وحدهم، ليدمج في صلب الحدث شخصيات هامشية كجيمس أيتكن، ذلك العامل الجوال والهارب من عقود السخرة، الذي جسّد بفعله التدميري — إشعال أحواض السفن والمرافئ البريطانية — وعياً طبقياً مبكراً بآليات السيطرة الإمبراطورية. يتجاوز هذا الحريق المادي أثره المباشر، ليتخذ دلالة معرفية تفضح النظام الإمبراطوري كشبكة معقدة من العمل القسري، والانضباط الصارم، وتراكم الديون، والعقوبات الزجرية الرادعة. وهكذا نضع اليد على حقيقة أساس: خلخلة البنى السياسية الكبرى للإمبراطورية تستلزم بالضرورة استهداف مفاصلها الاقتصادية واللوجستية الأكثر حيوية، لا قواعدها العسكرية، وضباط استخباراتها فحسب.

إن المفارقة الأخلاقية الكبرى للجمهورية الأميركية تتجلى في ذلك الانفصام البنيوي الحاد بين لغة الوثائق التأسيسية التي بشرت بحقوق كونية مجردة، وبين التموضع العيني لنظام اجتماعي واقتصادي أقصى المستعبَدين والسكان الأصليين والنساء والفئات العمالية الفقيرة من دائرة الامتلاك الفعلي لتلك الحقوق المزعومة. ويظل هذا التوتر التأسيسي سمة بنيوية تلازم المسيرة الأميركية، حيث اصطدمت مثاليات التنوير الأوروبي بمحددات الملكية الخاصة والمصالح الطبقية الضيقة للنخبة الحاكمة. لقد ارتكز النهوض المعماري والاقتصادي الهائل تاريخياً إلى استغلال منهجي لطاقات بشرية جرى تغييبها عن المشهد السياسي والتشريعي، ليكون رخاء الإمبراطورية نتاج مفارقة إنتاج الحرية الخطابية بالتزامن مع ممارسة العبودية، والإقصاء الفعلي، والغزو.

على مدى قرنين ونصف، تطورت هذه التجربة الإمبراطورية عبر مأسسة هذا التوتر وتوظيفه كآلية لتجديد السيطرة. لقد ابتكرت النخبة الأميركية أدوات دستورية وقانونية بالغة المرونة، قادرة على امتصاص الحركات الاحتجاجية وإعادة دمجها في بنية النظام، بالتزامن مع توسع قاري عنيف قضى على وجود أهل البلاد الأصليين، وأسس لمنظومة تفرقة عرقية طال أمدها. وامتدت هذه الدينامية المزدوجة خارج الإقليم، عبر تدخلات عسكرية واقتصادية إجرامية متلاحقة في أمريكا اللاتينية، وآسيا، والشرق الأوسط. وهكذا اشتغلت الدولة كآلة لإنتاج المعرفة، والآداب، والفلسفات النقدية الرفيعة، وفي الوقت نفسه كمركز لإنتاج وتصدير آليات الهيمنة التقنية والعسكرية المعولمة، التي تحول شعارات التحرر إلى أدوات تسويغية لخدمة النفوذ الرأسمالي العابر للحدود.

لعل أحد مكامن القوة لهذه المنظومة قدرتها الاستثنائية على توليد نقدها الجذري من داخل نسيجها الفكري والاجتماعي ذاته، واستيعابه. فالتاريخ الأميركي، بقدر ما تمثّل نزعة توسعية عابرة للحدود، حمل في داخله خطاً نقدياً صلباً يمتد من تأملات هنري ديفيد ثورو في العصيان والضمير الفردي، إلى تحليلات دو بويز في الوعي المزدوج، وجيمس بالدوين في العرق والخطيئة الوطنية، وأنجيلا ديفيس في السجن والطبقة والجندر، ومايكل بارينتي في تفكيك البنية الإمبراطورية للرأسمالية الأميركية. وإلى جانب هذه الأسماء، كانت هناك سلاسل طويلة من النضال العمّالي، والحركات المناهضة للحروب، والانتفاضات المدنية التي جعلت التاريخ الأميركي أشبه بمحكمة علنية مفتوحة، يقف فيها وعد التأسيس وجهاً لوجه أمام ضحاياه.

أميركا اليوم، بعد 250 عاماً من الاستقلال، وريثة حريقين عظيمين: حريق ثوري قديم أشعل المخيلة السياسية في زمن الحداثة، وحريق إمبراطوري راهن يلتهم المثاليات التي رفعتها إلى مقام العقيدة. بينهما تقف الطبقات المسحوقة داخل أميركا، وشعوب الجنوب العالمي خارجها، كشهود على أن الحرية حين يوظفها جهاز الهيمنة تفقد جوهرها الأخلاقي، ولا تستعيد معناها الأول إلا على يد المستضعفين وعداً مفتوحاً بعدالة لم تكتمل بعد، وأفقاً إنسانياً لا تمنحه الإمبراطوريات، بل تصنعه الشعوب التي تقاوم مضطهديها.

ملف

إعداد **محمد ناصر الدين**

منذ بدايات النهضة العربية، ظلّ سؤال واحد يلاحق الباحثين في تاريخ الثقافة الإسلامية: لماذا لم يعرف الإسلام المسرح بالمعنى الذي عرفته الحضارات الأخرى؟ ولماذا ازدهرت الفلسفة والفقه والشعر والعمارة والموسيقى، فيما ظل الفن المسرحي غائباً أو هامشياً حتى مطالع القرن العشرين؟ تعددت الإجابات، لكن وسط هذا الجدل الطويل برز استثناء كبير يصعب تجاهله: مسرح التعزية العاشوراني.

منذ قرون طويلة، نشأ داخل المجتمعات الشيعية شكل درامي متكامل يقوم على إعادة تمثيل مأساة كربلاء. دراما تجمع بين السرد والشعر والموسيقى والتمثيل والإنشاد والحركة الجماعية، حتى بدا لكثير من الباحثين أنه أقرب ما يكون إلى المسرح الذي أنجبته الحضارة الإسلامية بنفسها.

ولعلّ أهمية التعزية تكمن في تجاوزها لبعدها الديني نحو تجربة ثقافية فريدة استطاعت أن تحول الذاكرة إلى عرض حي، والتاريخ إلى مشهد، والحزن إلى أداء جماعي يشارك فيه الممثلون والمتفرجون معاً. وربما لهذا السبب بقيت التعزية، على اختلاف أشكالها، حية من إيران إلى العراق ولبنان وتركيا والهند وباكستان، متخذة في كل بلد لوناً محلياً خاصاً، مع احتفاظها بالنواة نفسها: استعادة واقعة كربلاء بوصفها تراجيديا مؤسسة للوعي الثوري الذي يعتقد بانتصار الدم على السيف. نستعرض في كلمات هذا المسرح بطقوسه التاريخية والثقافية ونسلط الضوء على مقاطع مسرحية ترجمها الباحث التونسي محمد عزيزة في كتابه البديع «الإسلام والمسرح» تحت عنوان «آلام الحسين أو ماساة كربلاء»

مسرح التعزية العاشورائي: أدخل الجنة وعيناي مليئتان بالأشواك

من الرواية إلى المسرح

إذا كان للتعزية وطن تاريخي واضح فهو إيران الصفوية ثم القاجارية، حيث بلغت هذه الظاهرة أوج تطورها. كانت مواكب العزاء الإيرانية تضم رجالاً يرتدون أزياء ملونة، يمتطون الخيول والجمال المزينة، فيما يظهر في وسط الموكب فارس يمثل شهيداً مضرجاً بالدماء، وخلفه جنود ورماح وموسيقى وأناشيد تنادي: «حسين... حسين... سيد الشهداء». يصف الباحث التونسي محمد عزيزة في دراسته الشهيرة عن الإسلام والمسرح نشوء التعزية بوصفها الشكل الدرامي الوحيد الذي عرفه الإسلام الفارسي التقليدي. في بداية هذه المسرحة، لم يكن هناك ممثلون بالمعنى المعروف، بل رواة يقفون في الجوامع والتكايا والساحات العامة قبل حلول شهر محرم الذي وقعت فيه المجزرة، يروون بطولات الحسين، سبط النبي العربي، ويشيدون بمناقبه. كان هؤلاء يعرفون في إيران باسم «الروضة خوان» أو «الوزي كان»، وكانت وظيفتهم الجمع بين المدائح الدينية والسرد التاريخي والموعظة. لكن الشكل أخذ يتطور تدريجياً، فما لبث أن ظهر مساعد للراوي يتحاور معه، ثم ظهرت جماعات للإنشاد واللطيمة الذين يرددون الأناشيد والمراثي استجابة لما يرويه الراوي، فتحولت الحكاية شيئاً فشيئاً إلى أداء جماعي يذكّر، كما لاحظ بعض الباحثين، بوظيفة الجوقة في المسرح اليوناني. مع مرور الوقت، أضيفت العوامل المسرحية الحركية إلى الرواية، فدخلت الخيول والجمال وعوامل الديكور الأخرى، وارتدى المشاركون الأزياء التاريخية، وأخذت الشخصيات تتحاور أمام الجمهور، لتولد بذلك نواة المسرح العاشورائي.

وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تحولت هذه المواكب إلى عروض درامية منظمة. فبنيت التكايا المخصصة للتعزية، وأشهرها «تكية دولت» في طهران التي شيّدت في عهد ناصر الدين شاه القاجاري. كانت مبنى دائرياً ضخماً مستوحى جزئياً من دور الأوبرا الأوروبية، مزدانًا بالمرايا والسجاد والتحف والكريستال والأقمشة الحريرية. وفي هذه الفضاءات كانت تقام المسرحيات العاشورائية التي كتب معظم نصوصها مؤلفون مجهولون، وتُعرض فوق منصات خشبية بسيطة مفتوحة من جميع الجهات، فيما يتجمع الجمهور حولها لساعات طويلة.

ومن أشهر هذه المسرحيات «عرس القاسم»، حيث يتحول الفرح إلى ماساة. فالعريس الشاب يتهيأ للزفاف وسط الألوان والشموع والأزهار، ثم يدخل إلى ساحة القتال ليلقى مصيره. ويبدو هذا الانتقال المفاجئ من العرس إلى الموت أحد أكثر المشاهد تأثيرًا في المخيلة الشعبية الإيرانية. وقد لاحظ عزيزة وجود تشابهات رمزية بين بعض عناصر التعزية وبعض الأساطير الفارسية القديمة، وخصوصاً قصة البطل سياوش الذي قُتل شاباً وبكاه الناس طويلاً. لكن التشابه هنا لا يلغي الفارق بين التاريخ والأسطورة، بقدر ما يكشف عن قدرة الثقافة على استيعاب الرموز القديمة وإعادة توظيفها في سرديات جديدة.

لبنان: مسرح التعزية من الظل

في جبل عامل ولبنان، اتخذت التعزية مساراً مختلفاً. خلال العهد العثماني كانت الشيعية تخضع لقيود شديدة. وتشير الشهادات التي جمعتها الباحثة صابرينا ميرفان إلى أن الأهالي كانوا يحيون عاشوراء في البيوت بعيداً عن الأنظار، فيما يراقب الأطفال الأزقة لتحذير المجتمعين من اقتراب الدوريات العسكرية. وكانت المجالس تعتمد أساساً على قراءة المقتل والمراثي. ويذكر السيد محسن الأمين أن الناس كانوا يجتمعون في الليالي العشر الأولى لسماع روايات طويلة عن واقعة الطف، وأن هذه العادة تعود إلى زمن بعيد. غير أن التحول الأهم جاء مع وجود الجالية الإيرانية في النبطية خلال أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. فقد كان التجار الإيرانيون يقيمون تمثيليات صغيرة باللغة الفارسية تجسد المواجهة بين الحسين والشمر، ويتابعها الأهالي بإعجاب كبير. ومع تراجع سطوة السلطة العثمانية في الحرب الكونية الأولى ووصل الطبيب الإيراني إبراهيم ميرزا إلى النبطية سنة 1917، فاسهم في تطوير هذه التمثيليات ووضع أول حوار عربي تقريباً للمواجهة المسرحية بين الحسين والشمر. وكان الشمر يرتدي أحياناً لباس الجندي العثماني، في إشارة سياسية مفهومة للجمهور. لكن المسرح العاشورائي اللبناني لم يبلغ مرحلة النضج إلا مع الشيخ عبد الحسين صادق الذي رأى محدودية هذه العروض الشعبية، فكتب نصوصاً أكثر تماسكاً واستند إلى المصادر التاريخية الشيعية، محولاً التعزية من مجرد مواجهة رمزية إلى عمل مسرحي متكامل يهدف إلى التعليم والتأثير الأخلاقي معاً.

وهكذا أصبحت النبطية التي يطلق عليها اسم «مدينة الإمام الحسين» من المراكز المهمة للمسرح العاشورائي في العالم العربي. عرس القاسم حاضر أيضاً في العرض العاشورائي النبطاني، إذ يرد في كتاب «الهجر» لنجاح طاهر: «عمتي كانت تمسرح دور سكينة، ترتدي ثوباً هاشمياً أسود اللون وتضع على جبينها عصبة عريضة من الساتان الأسود اللماع، تسدل على شعرها طرحة سوداء... تسير في المقدمة فتتبعها الصبايا حاملات صوان كبيرة مستديرة وقد شُكّت فيها الشموع البيضاء المضاءة... تصعد عمتي إلى طاولة... وتبدأ في إلقاء أبيات من الشعر تندب فيها موت رجال أهل البيت وأصحابهم... ويبكي الجميع:

عريسي قاسم
جاني العرس وينها
وريت عرسك دايم
لتشوف سكنة بعينا

تركيا: عاشوراء بين الشيعة والعلويين والكاشيين

أما في الأناضول العثمانية، فقد أخذت عاشوراء طابعاً مسرحيًا يمتزج بالتقاليد المحلية. ففي وصف يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر نرى احتفالاً يبدأ بدخول أطفال يرتدون الأبيض، بعضهم على ظهور الخيل وبعضهم يسيرون على الأقدام وهم ينشدون ويبكون. ثم تتوالى المجموعات التي تضرب صدورها أو تحمل السلاسل الحديدية، فيما تردد الهتافات الجماعية أسماء سيطي الرسول أو «سيدي شباب أهل الجنة»: «يا حسن... يا حسين»، وفي ذروة المشهد يدخل حصانان أبيضان تعلو كل واحد منهما حمامة بيضاء، في رمزية تستدعي الإمامين، المقتول بالسمّ والمذبوح بالسيف.

لكن عاشوراء التركية لم تقتصر على التمثيل والحداد. فالعلويون والبكتاشيون أضفوا عليها أبعاداً مختلفة. ففي كثير من مناطق الأناضول يدخل الطعام كتعبير عن الهوية الدينية والثقافية، فتوزّع على الحاضرين «هريسة عاشوراء» المصنوعة من الحبوب والمكسرات والفواكه المجففة. وتحيط بهذا الطعام روايات شعبية تربطه بسفينة نوح وببدايات الخليقة. كما تترافق بعض الاحتفالات مع الأناشيد والرقصات الصوفية المعروفة باسم «السماح»، حيث يمتزج الحزن الديني بالتعبير الروحي والصوفي الجمالي. وهكذا تبدو عاشوراء في تركيا أقل ارتباطاً بالتمثيل التراجيدي المباشر الذي نجده في إيران والعراق، وأكثر انفتاحاً على التقاليد الصوفية والطقوس الجماعية المتنوعة.

العراق: المناحة العظيمة

إذا كانت إيران قد طورت النص المسرحي، فإن العراق منح التعزية كثافتها الاجتماعية والسياسية الأكثر وضوحاً. في المدن المقدسة مثل كربلاء والنجف والكاظمية، تطورت المجالس من مناسبات دينية إلى فضاءات اجتماعية وثقافية كبرى. وكان «الروزخون» أو قارئ المقتل يكيّف لغته وأسلوبه بحسب جمهور الحاضرين وخلفياتهم العشائرية والطبقية، وانعكس الطابع العربي العشائري للمجتمع الشيعي العراقي في الشعر المستخدم في المجالس، ولا سيما «الأبوذية» و«الهوسة»، حيث تحضر قيم الشجاعة والفروسية والوفاء حضوراً طاغياً. كما يشتهر العراقيون بركضة «طويريج» وهي واحدة من أشهر الشعائر العاشورائية في العراق، وتُقام في يوم العاشر من محرم في مدينة كربلاء، ويشارك فيها مئات الآلاف، بل أحياناً ملايين المعزين، الذين يركضون لمسافة عدة كيلومترات باتجاه مرقد الإمام الحسين. وقد سُمّيت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة طويريج، وهو الاسم القديم لقضاء الهندية الواقع شرق كربلاء بنحو 20 كيلومتراً. بحسب الرواية المتداولة، تعود بداياتها إلى أواخر القرن التاسع عشر. فقد كان العالم الشيعي السيد صالح القزويني يقيم مجلس عزاء في طويريج يوم عاشوراء، وعندما وصل المجلس إلى لحظة استغاثة الحسين «ألا من ناصر ينصرني»، نهض الحاضرون بشكل عفوي واندفعوا ركضاً نحو كربلاء وكأنهم يلبون النداء متأخرين. ثم تحولت هذه الحركة إلى تقليد سنوي. كما اكتسبت شخصية العباس بن علي مكانة خاصة. فهو الفارس الكامل الذي يقتحم صفوف الأعداء ويقلب المينة على الميسرة بحثاً عن الماء للأطفال والنساء، قبل أن يلقى مصرعه قرب الفرات. وقد جعلت هذه الصورة منه بطلاً شعبياً لا يقل حضوراً عن الحسين نفسه في الوجدان العراقي. أما تمثيل المعركة، أو ما يعرف بـ«الشبيه»، فقد بلغ درجة كبيرة من التعقيد. ففي بعض القرى العراقية منتصف القرن العشرين شارك عشرات الممثلين فوق الخيول، وانقسموا إلى معسكر الحسين ومعسكر خصومه. واللافت أن الجمهور لا يكون متفرجاً سلبيًا، بل يبدو منخرطًا في هذا المسرح الشعبي بالتعبير البريختي، فالنساء والرجال يهتفون، يشجعون، يحتجون، ويشاركون عاطفياً في مجريات العرض. بل إن بعض الروايات تذكر استخدام البنادق وإطلاق النار فوق رؤوس الممثلين أثناء المشاهد الحربية، ما جعل الحدود بين المسرح والواقع تبدو شديدة الهشاشة. وفي مواكب كربلاء والنجف، كانت المدينة كلها تتحول إلى خشبة مسرح: فرسان، جمال، سبايا، رجال دين، تجار، لطم، سلاسل، وأناشيد؛ مشهد هائل تتحرك فيه طبقات المجتمع المختلفة داخل سردية واحدة هي سردية كربلاء.

بين الطقس والمسرح

بالعودة إلى النقد الأدبي الحديث، قد يبدو السؤال مشروعاً حول انطباق المعايير المسرحية على مسرح التعزية العاشورائي. فالتعزية ليست مسرحاً بالمعنى الأوروبي الدقيق، لأنها لا تقوم على الفصل الكامل بين الممثل والمتفرج، ولا تهدف إلى الترفيه أو الجمال الخالص. لكنها في الوقت نفسه تتضمن معظم العناصر المسرحية الأساسية: نصاً، وشخصيات، وحواراً، وفضاءً للعرض، وأزياء، وموسيقى، وجمهوراً. بل إن خصوصيتها تكمن تحديداً في تجاوزها لهذا الفصل. فالمتفرج فيها ليس شاهداً محايداً، بل مشارك وجداني في الحدث، إنه يعرف النهاية مسبقاً، لكنه يعود كل عام ليعيشها من جديد. ولهذا ربما فشلت كثير من المحاولات التي حاولت فهم التعزية بوصفها مجرد بقايا طقس ديني أو مجرد مسرح شعبي. فهي تقع في منطقة وسطى بين الاثنين: طقس يتحول إلى مسرح، ومسرح يستمد قوته من الطقس. ومن إيران إلى العراق ولبنان وتركيا، ظلت التعزية العاشورائية تقدم مثالاً نادراً عن قدرة الذاكرة الدينية على إنتاج أشكال فنية معقدة ومستمرة عبر القرون. وفي الوقت الذي ظل فيه سؤال «الإسلام والمسرح» مفتوحاً أمام الباحثين، بقيت التعزية تذكّرنا بأن الحضارة الإسلامية لم تكن خالية تماماً من المسرح، بل ربما أنجبت مسرحها الخاص، المختلف عن كل ما عرفته الحضارات الأخرى، مسرحاً ولد من الحزن، وعاش في الذاكرة، واستمر لأن الناس لم يتوقفوا عن رواية القصة نفسها، جيلاً بعد جيل.

مقاطع من مسرح التعزية

(ترجمة محمد عزيزة عن الفارسية في كتابه «الإسلام والمسرح»، منشورات عيون، 1988)

تدخل زينب إلى خيمة الحسين

الحسين: (وحده)
في هذه الساعة البعيدة عن الثبات... التي تنقلب فيها الأشياء.
أي اضطراب يمسكك يا نفس؟
هل أتابع الطريق رغم العقبات؟
هل أقود هذا الشعب نحو أجله من أجل أهداف؟
هل أسبابي نقية حقاً؟ أم أنها الكبرياء التي تدفعني؟
وهل يكون إغراء السلطة بهذه القوة حتى تجعلني أنسى مسؤوليتي تجاه هذا الشعب؟
ولكن... كيف يمكن للرجل الفاضل أن يقبل دون نقاش إهانة المتسلطين في هذا العالم؟
أيمكن لأكثر الأهداف عدلاً أن تُدفن في التراب عاراً وخوفاً أمام البربرية المتسلطة؟
يا نور القرار الصائب... أنت تتخلى عني بقسوة.
الجوقة:
في قلب الرجل العادل.
الظل يحارب الضياء.
زينب:
استيقظ يا أخي، أتوسل إليك، لقد اسودّ وشاحي باقتراب أجلك.
استيقظ، إن جيش الأعداء هنا... يا ملكًا دون فرسان.
استيقظ، نومك هادئ، ولكن مملكة الأحلام خداعة.
استيقظ، فنحن محاصرون في أعماق شقائنا.
الحسين:
حلمت حلماً... كان السهل فيه أخضر... ولكنك لم تدعيني أكمله.
والماء رقراقاً، والنبع نقياً... ولكنك لم تدعيني أكمله.
وخيّل إليّ أني أميز والدتي... وقد ارتدت السواد كلها... وأشارت إليّ بيدها إشارة خفيفة... وابتسمت ابتسامة عذبة وكأنها تريد مني أن أجتاز المياه وأن أصل إليها... ولكنك لم تدعيني أكمله...
زينب:
كنت نائماً يا أخي... وفي هذه الأثناء، وصل شمر وصرخ بنا.
أريد أن أقتل الحسين وأن أسبي زينب... هذا ما قاله شمر.
الحسين:
لقد أكملت شمس الشقاء السوداء، دورتها إذن.
لقد أخذ مني هذا الفارس المتعطش للدم أخي وأولادي وخير ما لي من أعوان.
وها هو يطمع الآن بسلبي حياة لم تعد ذات قيمة،
وأن يجعلك تحملين يا أختي المعبودة أهوال أسر مخجل.
لقد كُتب عليّ ألا أدخل أبواب الجنة إلا وعيناي مليئتان بالأشواك.
زينب:
كيف لا يمكنني أن أموت من أجلك يا نور عيني...
فأنقذك وأجنّب نفسي شقاء أسر أكثر هولاً من الموت؟
الحسين:
لقد حانت الساعة التي لا مفر منها والتي عليّ أن أواجه فيها رياح القدر المعاكسة...
آن أوان الرحيل يا أختاه، سأبلغ سلامك والدتنا...
لقد كان الحلم نبوءة، كانت تعرف أنه عليّ أن ألقاها.
زينب:
لن يسمح الله بذلك، ولن ترضى السماء بأن يقع مثل هذا الظلم.
إذا مت أيها الملك... فلن يبقى أمامي إلا أن أضع حدًا لحياتي بيدي هاتين.
الحسين:
لن ترتكبي هذا العمل الأحمق أبداً... لأنني أعهد إليك بصغيرتي سكينة، لا تكفّي لحظة واحدة عن السهر عليها،
ستكونين ملاذها الوحيد.
سكينة (تستيقظ)
أنا ظمأى... ظمأى... يا والدي الحبيب... أتوسل إليك... نقطة ماء.
الحسين:
على شفتيها المشققتين تقف روحها التي عذبها الظمأ تنتظر الرحيل.
انظري يا زينب... يأس الوالد الذي يعجز عن إنقاذ فلذة كبده،
انهضي يا سكينة... وكفّي عن الأنين سأذهب وآتيك بقليل من الماء،
آتيني بأسلحتي يا أختاه...
آن الأوان كي أستعد لمعركتي الأخيرة،
وربما عندما أصل إلى فوق... أمام الينابيع السماوية،
ربما أمكنني أن ألقي بقطرة من ماء على النار التي تلتهم أحشاء طفلتي الصغيرة.
زينب:
أيها الملك، كيف يمكننا تحمل الحياة من دونك؟
لا تذهب إلى حقل المعركة.
الحسين:
وما يمكنني أن أفعل سوى ذلك... يا أعز الأخوات.
أنت تعلمين أن زمرة الكلاب الجائعة التي تحاصرنا لا تدع لنا مجالاً للإفلات.
إذن خير لنا أن نموت بشجاعة... وسلاحنا في يدنا،
بدلاً من أن نذبح على سرير وثير.
أعهد إليك بسكينة، اسهري عليها... كلميها عني بين وقت وآخر.
الوداع... كم أحببتك يا زينب.
(يخرج)
زينب:
الشقاء الكبير يخرس اللسان... ويجفف الدمع.
أيتها الشمس... أيتها الشمس الوضّاءة، كيف يكون في وسعك أن تتوهجي وأن تضيئي بأنوارك هذا الكفر الذي لا يطاق.
(ظلام)
(الحسين أمام الجيش الأموي، ينتظر نهوض الشمس)
الحسين:
ها أنت ذا أخيراً، أيها الصباح الصغير الأبيض، يا معلن اليقظة.
الديك يصرخ في الضياء المظلم، والأرض تنفخ بثقل أحلامها البشعة... وتهيئها نشوى لاستقبال النهار.
عما قريب... سيتوردّ الأفق، وعما قريب ستدفئ الشمس الهضاب، وعما قريب... سيأتي صباحي الأخير.
أيتها السماء، أيتها السماء الصامتة، لم تركتني؟
الملاك فيتروس
أتيت إليك يا ابن علي المرتجى. إن كفيّ فارغتان، ولكن قلبي يفيض رحمة.
ولا أملك إلا كلمات مطمئنة أقدمها لك.
الحسين:
شقائي كبير أيها الصديق.
فيتروس:
أتفهمك لأنني أيضاً عرفت الشك والقلق.
في يوم ما، كنت مسؤولاً عن خطأ جسيم، وطردني الخالق من السماوات، وأكلت النار أجنحتي.
وبعد ذلك هبطت إلى الأرض وخلال ثلاثين ألفاً وتسعين من السنوات كنت أهيم في جزيرة من جزر الروم، محرومًا من رضا الرب، وعرفت إغراء الإلحاد وعرفت نداء الشر.
ولكن في ليلة، الليلة التي أتيت فيها أنتَ إلى الدنيا، أيها المنقذ، أتاني الملاك جبرائيل الأمين وأعلمني بالنبأ السعيد.
قال لي أمير الملائكة: «اسعَد يا فيتروس، لقد عفا الخالق عن أخطائك وأعادك للجنان، لأن في هذه الليلة وضعت فاطمة جوهرة لا مثيل لها، في هذه الليلة أصبح عليّ والدًا لطفل سيكمل مهمته».
هكذا تكلم جبرائيل الأمين، ونما جناحاي من جديد... وبدأت صعودي المجيد.
الحسين:
يا زهرة النسيان، أيتها الكلمات، لم لا تستطيعين أن تحلّي مكان الحقيقة السامة؟
فيتروس:
إن الخالق لا يهجر مختاريه أبدًا... فاطمئن يا حسين.
الحسين:
اذهب أيها الملاك الجميل... اذهب واعلم أني ما زلت مصمماً أن أهب حياتي تكفيراً عن خطايا أمّتي.
(يختفي الملاك فيتروس)

المراجع

محمد عزيزة، «الإسلام والشعر »، منشورات عيون، الدار البيضاء، 1988.
صابرينا ميرفان، «حركة الإصلاح الشيعي»، صابرينا ميرفان، 2008.
إسحق النقاش، «شيعة العراق»، ترجمة عبد الإله النعيمي، دار المدى، 1996.
نجاح طاهر، «الهجر»، دار الآداب، 2009.

قصائد

شوقي بزيع: ستمشي بلادي على الماء

يشبه شعر شوقي بزيع تلك الجداول الرقيقة التي ترفد الليطاني في وادي قريته زبقين، وشجر الدفلى الذي ينبت على ضفاف النهر والقرى المرمّدة بالبارود. تفتح عند تخومها أول بابٍ في الكون: بابَ اللون. لا تكاد تخلو قصيدة لبزيع من ذكر النهر والحياه العذبة السائلة في بطن الوديان، وهو الوحيد من أبناء جيله، تلك الكوكبة التي تسمّت في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي «شعراء الجنوب»، الذي افرد لنهر الليطاني عنواناً تصدّر مجموعته الثالثة (اغنيات حب على نهر الليطاني، دار الآداب، 1985). حتى لكأن النهر قد سكن هذا الشعر يرفد حيناً ويهدر حيناً اخر في جدلية الموت والحياة، والمقاومة والشهادة. واليوم، حين يتطاول المدو الصهيوني على اللغة فيمعن في غرز اظافره في لحم الجنوب، من جنوب النهر ومن شماله، تغدو العودة إلى هذا الشعر المائي والترابي ضرورة، مثل ضرورة رحيل الغازي المعتدي عن طيون جبل عامل وزعتره البري وريحانه.

ولا بد من طاقة الحب الموصولة بالوجع الكربلائي في شعر بزيع، ليقوم الطفل ايمن المقتول في وادي العزية ويمشي النهر إليه، وتنهض الصبايا الشهيدات من اجداثهنّ، نجلاء التي ترتدي المريول المدرسي، واهال التي ترتدي الزي الصحافي، والامهات بمناديلهن المخضبة، وشلال من الشهداء. ننتظر معجزة الناصري حين مشى على الماء وبشارة النصر وقد طافت خوابي قانا الجليل بدماء اولادنا المذبوحين، ونردد مع صاحب «مرثية الغبار»: «ان دمي موصولٌ للتراب/ لبنات المحتوين نحو حبيباتهم/ والمصابون نحو اصاباتهم/ والمساكين نحوي/ ففي ذات قنبلة في نهار يجيء/ على بُعد خمسين الف قتيل واغنية واحدة/ ستمشي بلادي على الماء»

مقدمة واختيار **محمد ناصر الدين**

1. أغنيات حب على نهر الليطاني

أنا امرأة من بقيق وريحان
ضُمّةُ دفلى فمي
ودمي حنطةُ ذائبه
ونهدي شقائقُ مرسومةٌ
لا تشوبُ استدارته شائبه
قولوا لأمي التي تركتني
بأنّ شموسَ الهوى لاهبه
نذرَ عليَّ لئن عاد لي
لأضاءَ جمّلَ الحطبْ

■■■

يا جمال السماء، التي في نواقيسها
ربطوني
اركضي في براري عذابي
حادي العيس مرَّ بقربي
ولم يلتفت.
تاركاً طعمَ نعناعه في ثيابي
قولوا لأمي التي تركتني
بأنّ رياحَ الأسى أتلفتني
وهدَّت خطايَ
حبيبي الذي بيديّ طويتُ محارمَهُ
ضاع مني
وأمسى يحثُّ سوايَ
وكانت يداه حصىً لمياهي
وكانت ذراعاه برقًا ومنايَ

■■■

هي امرأةٌ ليس إلا..
مطعّمةٌ بالحرائق
نعائمُها غارقٌ في الذهول
وفي جسمها نكهةُ الزعفرانِ المحلّى
بين حجراتها أجلستني
وغطّت جبيني بقبلتها المشتهاة
فتّحتُهُ سهولُك.

2. مرثية لنجلاء وطيور النهر

لم تثقّ.
كان ذلك محضَ ادّعاءٍ
إن نجلاءَ لا تحسنُ الموت
لم تتعلّمه في الكتب المدرسيةِ.
لن تجدوا ذرّةً للرصاصةِ
بين دفاترها
لقد ذهبَتْ لتعود
ذهبت لترى ذلك الطائر الدلهمَ
على طرَف الغيم
ها هي تمشي إلى جبل الزعفران
الصغير
ترى قرية فتتاخمها،
زرقةً
فتحاذي دوار السماء البعيدْ
وتهوي على كوكب يتلاشى...
لم تثقّ
ولكنما الشعراء، الذين تولوا حراسة
أحلامها
انطفأوا
والغبار الذي ثار حول ابتسامتها
عاد منذ قليل
إلى الهدأةِ الفاجعه
والذي أطلق النار ألقى أصابعهُ
فجأةً،
والإذاعات كذّبت الشائعه
ولم يذْكر الستةَ الآخرون اسمها
بينهمْ
لم تقل أمها إنها ارتطمت
بجدار الحقول

فمن أحضر الجثة السابعه
إلى ساحة القتل؟
من أمر الناس أن يذرفوا الدمع
أو يُرهفوا السمعَ
للجثة الساطعه

■■■

إن نجلاءَ لا تحسن الموت
هذا الانكسار المراهق في صدرها
هوذا قمرُ الكتفين
وقمح اليدين الجنونيُّ
كيف تذيل تلك البراعم في جسمها
وتلك الثمار التي انعقدت فوقهُ
كيف تسقطها طلقةٌ واحده؟
وكيف تضيق المسافة بين الزفافِ
وبين القطاف إلى ذلك الحدّ!
لماذا أتيتم إلى موتها
من دعاكم إلى الاحتفالْ
لا تقيموا على قبرها مأتمًا
أبعدوا النائحاتِ عن الشاهده
إن نجلاء تأمركم أن تعودوا
كلّ ليل إلى نجمه.
كل عاشقةٍ نحو عاشقها
من كان منكم بمثل نضارتها فليكفّ
عن الحزن

■■■

إنها لم تمت
ولكنها تتذرع بالصمت
تتبع نحلَ الكلام إلى عسل الروح.
تتركنا في جحيم الخنادق
والغرف الباردة

نجلاء، ماذا فعلتِ لكي تصطلي دون
خوفٍ
إلى الموت؟
هل سمعتِ دويَّ الرصاص،
هدير التراب الذي ليس يهدأ،
نبض المياه الخفيّ،
وأغلقتِ خلفك نافذة الوطن الساخنه
كيف خرجتِ إلى شرفة البيتِ
سهوًا
ألم تسمعي جرس الساعة الثامنه
ينادي على الفتيات الصغيرات
ألم تصرخي للحقول الصديقةِ
أو
للطيور الطليقة
أو تسألي في الصباح عن الطرق
الآمنة؟
ونجلاء تجري إلى حجر هاديٍ
وتحتَمِ في الصمت،
تبحث خلف كمين الزهورِ
عن الزهرة الخائنه
ونحن نشاهدها كيف تهوي،
نرى جسمها المتدفقْ،
مريولها المدرسيّ
ونرى خمس عشرة زنبقة تتضرج
بالصمت
والفتنة الآسره
لم تمتْ
ولكنها سبقتنا إلى النومِ
أو
سبقتنا إلى الزرقة الساحره

من مجموعة: «أغنيات حبّ على نهر الليطاني»- دار الآداب-1985

3. في الشمس كالأنبياء

(إلى حسن الحايك)

تفيأتُ
سحر الأكفّ
اجمعوا شجر الموت في الضلعِ
ثم اقطعوني إلى الأرضِ
إني تفتحتُ.
لم يبق دون العبير سوى الوردِ،
لم يبق دون الوصول سوى الجند...
يكون المدى لغةً من حفيف الضلوعِ
يصير الصدى غابةً للصراخِ
وتزهون كالنهرِ،
تلتفّ حولي وجوهٌ لها وجعٌ خالصٌ
في التراب
ووصلةُ موتي تدور على شهوة
الازدحامِ
أنا الراقصُ الأولُ
احتاحني وقع أقدامكم فانزفوني.
ذراعايَ لم تحتوكم جميعًا
ولكن وجهي مصابٌ بكل الوجوه
التي
أعلنت حزنها
انحدرتُ كسيْلٍ من الدمع بين
الجهاتِ
وسافرتُ في الأبجدية حتى نأت
لغتي
عن عيون الجنودْ.
هي الأرض شدت ذراعي نحو
القطافِ
وأجرت على خدّ كل القرى سيلها
وهذي الدموعُ، الخيولُ، الحصى
كيف جاءت؟
تقول الحكايةُ:
طافت سكينة أرض الجزيرة بحثاً
عن الماءْ،
لم تجد شاهد العرسِ،
لكن نهر الفرات اشتهاها
ونامت طويلاً على ضفتيه فأورق
شعباً
من الدمعِ والمعجزاتْ
سرت جثّتي في الحقولِ
وأخرجت الأرض أثقالها من عروقي
وكانت علامةَ بدئي صريرًا يهوّم في
الأرضِ
والدار كانت توزّع أبناءها في المدارِ
وتحصدهم دمعةً دمعةً من عيون
القرى
تكاثرتُ حتى سددتُ المنافذَ
ثم احتوتني الإصابة حتى تجمّعتُ
واقّتادني السيل مثل الحصى في
عيون الرجالْ
هذا أوان القطافِ
انظروا في يديكم،
سأورقُ بين الأصابع سلطان عصر
الدموع
أنا المملكه
وكل الجراح الرعايا
على جبهة عرضها لون وجهي
أقاتل حزني
وأقذفه في وجوه المحبين،
أسماؤكم حيّرتني
وأعينكم حيّرتني
ألم يتناه إليكم دمي في صرير
الضفافْ؟
وهذي مدائنكم أدرجت جَنتي في
سجل العناقيدِ
أين الحبال التي علقتني على السورِ؟
ولكنني ملزم بالصراخ
سأعبر غصناً فغصناً على شتلة
التبغِ
تخرج من جلد كفّي الطيور،
اصمتوا
فإني أحلّق وحدي
أسامر عصفورة في صقيع الحقولِ
وأسألها
عن دمي:
ألم يتناه إليك دمي في ثنايا
الغصون؟
ويسرقها طائر آخر من ضلوعي
فأمشي إلى الموت وحدي
وموتاكم الأوّلون
ينامون نوم الظباء،
وأعينهم شرّعتها القناديلُ صوب
التراب
هي الأرضُ!
إن تحلموا شريْتكم
وإن تسقطوا شريْتكم
دعوني أسافر في جبهة الجند أثم
خوذاتهم
في المنام،
فإن الجنوب امتداد الجفون التي
لفتني البكاءْ
وإن الرصاص السحاب الذي أدهش
الدمعْ
حتى احتوتني الزغاريد والأغنياتْ

■■■

وفي رعشة الجُزُر ارتداني البحر مثل
الشّباك
وأغفى على شهقة الاتصال،
استوت في جحيم العناق النبوءة
والبدعةُ
وانساب صوت يشق صحارى
الوجوه:
«يا حادي العيس سلّم لي على أمي
واحكي لها ما جرى واشكي لها
همّي»
وما همّ يا أمّ أن يقتلوني
وأن يزرعوني على جذع كفيكِ
كالبيرق المستحيلِ
هي الأرض في غيبة الورد تنأى
أنا سيد الانكسار البطيء
أشتهي نجمة فتصير امرأة
أشتهي امرأة فتصير احتمال
آه من وجع لا يقال!

5

شهرزاد اشتهت أن تنام
اعتقت حارس اليقظة الشجرية
في جنة الحلم
واستسلمت للأمير الجميل.
طاردتها الطيور الحبيسة في
القلب فاستيقظت
شهرزاد انحنت تحت سقف
الكلام
جلستي أسيرًا لكي أنتهي في
الحكاية
جلستي أميراً لكي تحلم
العاشقات
جسدي أول الكلمات
جسدي آخر الكلمات

6

كنت يا قمر العاشقين
فاتنًا حين تغري الحصى
بالضفاف
كانت الأرض قبل القطاف
طائراً، والنساء غصون معلقة في
الهواء
تلك أجراسها في المساء.
وردة تقرع الفصول
ليت صفصافة لا تقول
عن عذاب الينابيع، ليت السماء
لا ترى كبرياء الأفول

7

سقطت نجمة في دمي فارتديت
المساء
وتعلمت أن أتهجى دمي
حدّقي...
وعديني بأن تكتمي ما ترين
وارقصي في خريف النساء
سقطت نجمة في دمي فارتديت
البكاء.

من مجموعة «عناوين سريعة لوطن مقتول» - دار الآداب -1978

4. أغنيات العاشق الأخير

1

في الليل،
قبيل سقوط المرأة في الحلم،
تتوجني الأزهار أمير الفرح الشجري
وتمنح الأنهار حنان الجزر الورديّة
في القاع
وتلتهب العاشقة الليلية بالحناء
فأدخل في فرح الأعياد، وأحمل كفيّ
كزنبقتين
وكالموج القمري أحاصر سحر يديك
وأحلم بالشطآن.
نامي بين جنون الرمل وبين الماء
ودعي جسدي قنديلك في هذا الليل
فإن جاءك من جهة البحر دمي
فاشتعلي

كفراش الماء على الأغصان.

2

نزلت ساحرة الأنهار إلى الماء، ونامت
نشرت عند مصب النهر مفاتنها،
فتسرب نحو عروق الأرض دم
يتوجعه العشاق إذا عشقوا
فاطمة ارتعشت في اللجة فاختلج
الورق
تركت خلف عذاب السرو ضفيرتها
وسرى النرجس في الأجفان
فحاصرها الماء
وفي الأجران فأدركها الغرق

3

كانت المرأة العاشقة
في زمان مضى لؤلؤة
وكان دمي ساجداً في تخوم البحار
وفي أسفل الجزر المطفأة

4

وقفت فاطمة
بين منتصف الحلم والاقحوان
النسائي
فابتلت الأرض بالصدف
المستحيل
ركضت طفلة العاشقين إلى النهر
وانحل عقد الصنوبر في ثوبها
ركضت كالغزالة في السهل
واستعذبت نخلتين على الأفق
فاتسعت ذكريات النخيل
وما بين ذاكرة الماء والعشب
عاشقة لا تجيء
أنا سيد الانكسار البطيء
أشتهي نجمة فتصير امرأة
أشتهي امرأة فتصير احتمال
آه من وجع لا يقال!

5

تقول صبايا الجنوب:
كان يسرّح شعر الحقول،
ينام على صدرها
ويدخل في جُزُر الخصر كالرعشة
المشتهاة
وقد فاجأته الطيور التي أنطقتها
الأساطيرُ،
حامت على جفنه العاطفي،
ألّفت ضفائرها في الحقولْ
وشوهد يهوي إلى باطن الأرضِ،
جلستي أسيرًا لكي أنتهي في
الحكاية
جلستي أميراً لكي تحلم
العاشقات
جسدي أول الكلمات
جسدي آخر الكلمات

6

كنت يا قمر العاشقين
فاتنًا حين تغري الحصى
بالضفاف
كانت الأرض قبل القطاف
طائراً، والنساء غصون معلقة في
الهواء
تلك أجراسها في المساء.
وردة تقرع الفصول
ليت صفصافة لا تقول
عن عذاب الينابيع، ليت السماء
لا ترى كبرياء الأفول

7

سقطت نجمة في دمي فارتديت
المساء
وتعلمت أن أتهجى دمي
حدّقي...
وعديني بأن تكتمي ما ترين
وارقصي في خريف النساء
سقطت نجمة في دمي فارتديت
البكاء.

من مجموعة «عناوين سريعة لوطن مقتول» - دار الآداب -1978

هو جرح البلاد ومرآتها
(إلى شوقي بزيع)

محيي الدين جرمق*

كان قد مرّ بالنهر،
«نهر الليطاني»
ويدعونه
«القاسمية»
عند المصبّ
وعند الضفاف
صبيّات لبنان، كنّ،
يمشطنَ بالماء والريح
ليلَ الضفائر،
لم يرعِ «الحارث ابن مرة»
فيما الصبايا هنالك :
يغسلنَ أشياءهنّ الخفيفة،
يرطنَ في سقسقات
السواقي،
كانت طيور الأميرال
في صحفة، تنقد الحب،
سنبلة من شعير
وقمح،
ودخَن
الجبال،
وكان الأبي خرجوا
في العهود القديمة
لم يدخلوا البيت،
أو يسلكوا الدرب
من بابه،
خسروا الآخرة،
ثم عادوا إلى النهر ثانية،
كي يعنّ لهم رؤية الضوء،
لم يرجعوا،
تلك ربّما
كَرّة
خاسرة.

■■■

منذها...
وطيور السنونو تحكي،
ولا سرّ في بئر بيروتُ،
فاضت مياه القناطر
في السهلِ
حتى المصبّ،
ظلال الصنوبر والأرز
تهمي،
لكي يستريح كثيرًا جنوبُك،
أو كي تريح الرياح،
تزيح الكئيب
الذي في الكتابة
أو في الكُتبْ.
وثمّة غيمٌ كثيرٌ
على سلّة
انضجَتها
رياح الخماسين
خذ ما تبقى من المفردات
التي لا تغيب،
كما طفل عينيك في السر
يقطف عمر الورود
وحيدًا سعيدا
بما تركته القصائد
من أثر،
لوحتُه ظلال الطيور،
على شجر المانغروف هنا،
عند (بحر العرب)

■■■

كجوع يحدث سيرته،
وقصائد ربيتها
في الحمام،
وفي الظل،
هذي يداك،
توزع أرغفةً
في ظهيرة صيدا.

وكان وريدك
في الطين بيتًا،
وتفعيلتان،
وظلك
في مائه زاجلٌ
في كلام المغنين،
ينتظرون
الموشح في الليل،
عند المحطات،
في شغف،
كلما جئت
مثل السنونو،
تفتح ماء البلاد
على رفّ قصصائه،
اسمك،
صرت له
ساعياً
وبريدا.
وكنتَ إذا ما حضرتَ
يطوف البساتين زهارُها،
وإذا حضر الماء
في الشِعر،
صارت
مواويلُ
أمسك
عيدا.

■■■

تجيء، بكامل هندامك
الغيم، صوتك،
والحرف صمتك
إذ تتأمل هذا الرذاذ
الذي غادرته
سحابة صيف القصائد
عذبها الملح
غيثُ الفصول،
وظلك يقرأ
في ظمأ الشمس
بعضك،
بعض
الصدى
والحلول،
حروب المياه،
تخلف عصفا
غبارا
أثارته (عيفورة)
من رماد النخيل.
ترافق ظل الطريق
إلى البحر،
لا موج
غير الذي أثقل الرمل
بعض سلامك

في حرف (جوزيف حرب)
كلامك يدمي الحصى فيرقّ،
هي المفردات
لها طرق،
تصل الوعر،
بالسهل،
كن شاردا
كيفما شئت،
كن جبلًا
ماردا
خارجًا من قيامته،
كالرصيف البعيد،
وضع شاهدا
من رخامة أحجاره،
ظل «راعي الضباب»
هنا،
أم هنالك...
عند الغروب؟
يداك
الدليل،
تنفست
كم مرة
في هواء الجنوب؟
وكم أبصرتك النوافذ
قرب الضفاف؟
وكم عند شبعا
مشيت
وكم صخت سمعاً
وكم صرت نبعاً
يصيخ لما قاله
محمد علي شمس الدين
«أناديك
يا ملكي
وحبيبي»؟

* **شاعر يمني**

تاريخ

جمال واكيم: «تاريخ لبنان» بعيداً عن التمجيد

ساري موسى

يُعَدُّ التاريخ من المواضيع الإشكالية على مستوى العالم، وتأتي إشكاليّته من انعدام الموضوعية فيه، التي تتمثّل بالمقولة الشهيرة: «التاريخ يكتبه المنتصرون». تفرض هذه المقولة على دارس التاريخ قراءة مصادره المتعددة، التي كتبها المنتصرون والمهزومون ومن كانوا خارج معركتهما، للحصول على الرؤية الأقرب إلى حقيقة ما حدث.

في بلدٍ كلبنان، يعيش في حقبة اتفاق الطائف، التي أنهت نظرياً الحرب الأهلية وافتُتِحت تحت عنوان «لا غالب ولا مغلوب»، يمكننا أن نتخيّل حجم التباين في كتابة التاريخ بالنسبة إلى كل طرفٍ سياسي. يترسّخ هذا التباين ويتجذّر في المجتمع متحوّلاً إلى نُذُر تفكك وتقسيم مع امتلاك كل حزب مدارسَ ومؤسساتٍ تعليمية خاصّة به، تُلقّن طلابها من محازبيه وأبناء بيئته نسختها الخاصة من تاريخ البلد.

في محاولةٍ لتقديم قراءةٍ أخرى، وكتابة تاريخ «يبتعد من السرديات التمجيدية والطائفية، التي دائماً ما طبعت مقاربات عدد من المؤرّخين اللبنانيين التقليديين»، صدر كتاب «تاريخ لبنان الحديث والمعاصر 1516 . 2026»، للباحث جمال واكيم (مركز دراسات الوحدة العربية). من أجل تقديم سردية جديدة تهدف إلى فهم الديناميات المركّبة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي شكّلت دولة لبنان الكبير، بركز واكيم على دمج البعد الدولي بالبعدين الإقليمي والمحلي في مختلف مراحل تاريخ جبل لبنان، منذ أواخر عهد المماليك، مروراً بالقرون الأربعة من حكم العثمانيين، وصولاً إلى فترة الانتداب الفرنسي التي أُعلن في مطلعها إنشاء دولة لبنان الكبير.

1516 : بداية حقبة طويلة

اختار واكيم سنة 1516 بدايةً لتاريخه. في هذه السنة وقعت معركة في سهل مرج دابق، شمال حلب، بين الجيشين المملوكي والعثماني، حيث انتصرت قوات السلطان سليم الأول، ما جعل بلاد الشام، ومن ضمنها جبل لبنان، تحت الاحتلال العثماني. يعود الباحث إلى العقود التي سبقت هذا الحدث، ويقرأ صفحات لشرح نشوء وتوسّع دول من المماليك والصفويين والعثمانيين، والتهديد الذي مثّله لهم المغول خاصّة في عهد تيمورلنك، من أجل فهم الأوضاع العامة للمنطقة قبل الغوص في تفاصيل بقعةٍ صغيرة منها. كما يشير إلى دور الصراعات التي نشبت على طرق التجارة البحرية بين البرتغاليين والمماليك، التي خسّرت الأخيرين دوراً جيواستراتيجياً واقتصادياً، بفعل اكتشاف البرتغاليين لرأس الرجاء الصالح في أواخر القرن الخامس عشر، وبالتالي انعدام حاجتهم إلى المرور برّاً عبر أراضي شرق المتوسط للوصول إلى الهند وأعماق آسيا.

فخر الدين الثاني: مؤسّس لبنان الحديث

في أوائل القرن السابع عشر، ورث الأمير فخر الدين الثاني الصيادي، على المناطق الدرزية في جنوب جبل لبنان، لكنّ هذا السياسي الداهية وسّع حدود إمارته تدريجياً، لتشمل أولاً المناطق الشمالية من الجبل، التي كان يعيش فيها الموارنة، «وبذلك وضع الأنقاض الدرزي، المارونيَ الذي قام عليه لبنان كولاية عثمانية». ثم مدّ حدوده إلى ولاية طرابلس، والداخل السوري الواقع شرق سلسلة لبنان الشرقية في منطقة حمص. وضمّ كذلك سنجق صفد في شمال فلسطين. بذلك يُعتبر فخر الدين الأمير الفعلي الأول للبنان بالمعنى الذي تأسس عليه لاحقاً ككيان، بعدما كان يحكمه أمراء متعددون. بهذا يُعَدّ «مؤسّس لبنان الحديث».

عهد الشهابيين وصعود الكنيسة المارونية

بعد وفاة الأمير أحمد المعني، انتقل الحكم إلى الشهابيين؛ أولاً إلى ابن أخت أحمد بشير الشهابي، ثم إلى حفيد أحمد حيدر الشهابي، بعدما صار بالغاً. لكنّ انخراط الأمير بشير الثاني الشهابي في صفوف المصريين ضمن حملة إبراهيم باشا المصري على بلاد الشام، جعل العثمانيين يُنهون حكم الشهابيين. قبل ذلك وبعده، ظلّ نفوذ الكنيسة المارونية يزداد ويتوسّع، إذ تمّ شراء مساحات واسعة من الأراضي، وُظّف فيها آلاف الفلاحين، وكانت فرنسا تدعم الطوائف الكاثوليكية في إطار صراع النفوذ مع العثمانيين، وتجارة الحرير تتمّ مع فرنسا عبر الكنيسة، التي أخذت تتطلع مع تراجع دور المقاطعجيين وضعف العائلات الإقطاعية إلى لعب دور سياسي، كان يؤديه لها أولاً الأمراء المعنيون بعد تحوّلهم إلى المسيحية، ثم صارت تضطلع به بشكل مباشر بعد سقوط حكمهم، وبهذا حصل التداخل الأول بين الدين والسلطة.

تجدر الإشارة إلى أنّ التسامح الديني ساد في عهدي المعنيين والشهابيين على مستوى العالم، وتأتي إشكاليّته من انعدام الموضوعية فيه، التي تتمثّل بالمقولة الشهيرة: «التاريخ يكتبه المنتصرون». تفرض هذه المقولة على دارس التاريخ قراءة مصادره المتعددة، التي كتبها المنتصرون والمهزومون ومن كانوا خارج معركتهما، للحصول على الرؤية الأقرب إلى حقيقة ما حدث.

في بلدٍ كلبنان، يعيش في حقبة اتفاق الطائف، التي أنهت نظرياً الحرب الأهلية وافتُتِحت تحت عنوان «لا غالب ولا مغلوب»، يمكننا أن نتخيّل حجم التباين في كتابة التاريخ بالنسبة إلى كل طرفٍ سياسي. يترسّخ هذا التباين ويتجذّر في المجتمع متحوّلاً إلى نُذُر تفكك وتقسيم مع امتلاك كل حزب مدارسَ ومؤسساتٍ تعليمية خاصّة به، تُلقّن طلابها من محازبيه وأبناء بيئته نسختها الخاصة من تاريخ البلد.

في محاولةٍ لتقديم قراءةٍ أخرى، وكتابة تاريخ «يبتعد من السرديات التمجيدية والطائفية، التي دائماً ما طبعت مقاربات عدد من المؤرّخين اللبنانيين التقليديين»، صدر كتاب «تاريخ لبنان الحديث والمعاصر 1516 . 2026»، للباحث جمال واكيم (مركز دراسات الوحدة العربية). من أجل تقديم سردية جديدة تهدف إلى فهم الديناميات المركّبة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي شكّلت دولة لبنان الكبير، بركز واكيم على دمج البعد الدولي بالبعدين الإقليمي والمحلي في مختلف مراحل تاريخ جبل لبنان، منذ أواخر عهد المماليك، مروراً بالقرون الأربعة من حكم العثمانيين، وصولاً إلى فترة الانتداب الفرنسي التي أُعلن في مطلعها إنشاء دولة لبنان الكبير.

1516 : بداية حقبة طويلة

اختار واكيم سنة 1516 بدايةً لتاريخه. في هذه السنة وقعت معركة في سهل مرج دابق، شمال حلب، بين الجيشين المملوكي والعثماني، حيث انتصرت قوات السلطان سليم الأول، ما جعل بلاد الشام، ومن ضمنها جبل لبنان، تحت الاحتلال العثماني. يعود الباحث إلى العقود التي سبقت هذا التاريخ، ويقرأ صفحات لشرح نشوء وتوسّع دول من المماليك والصفويين والعثمانيين، والتهديد الذي مثّله لهم المغول خاصّة في عهد تيمورلنك، من أجل فهم الأوضاع العامة للمنطقة قبل الغوص في تفاصيل بقعةٍ صغيرة منها. كما يشير إلى دور الصراعات التي نشبت على طرق التجارة البحرية بين البرتغاليين والمماليك، التي خسّرت الأخيرين دوراً جيواستراتيجياً واقتصادياً، بفعل اكتشاف البرتغاليين لرأس الرجاء الصالح في أواخر القرن الخامس عشر، وبالتالي انعدام حاجتهم إلى المرور برّاً عبر أراضي شرق المتوسط للوصول إلى الهند وأعماق آسيا.

فخر الدين الثاني: مؤسّس لبنان الحديث

في أوائل القرن السابع عشر، ورث الأمير فخر الدين الثاني الصيادي، على المناطق الدرزية في جنوب جبل لبنان، لكنّ هذا السياسي الداهية وسّع حدود إمارته تدريجياً، لتشمل أولاً المناطق الشمالية من الجبل، التي كان يعيش فيها الموارنة، «وبذلك وضع الأنقاض الدرزي، المارونيَ الذي قام عليه لبنان كولاية عثمانية». ثم مدّ حدوده إلى ولاية طرابلس، والداخل السوري الواقع شرق سلسلة لبنان الشرقية في منطقة حمص. وضمّ كذلك سنجق صفد في شمال فلسطين. بذلك يُعتبر فخر الدين الأمير الفعلي الأول للبنان بالمعنى الذي تأسس عليه لاحقاً ككيان، بعدما كان يحكمه أمراء متعددون. بهذا يُعَدّ «مؤسّس لبنان الحديث».

عهد الشهابيين وصعود الكنيسة المارونية

بعد وفاة الأمير أحمد المعني، انتقل الحكم إلى الشهابيين؛ أولاً إلى ابن أخت أحمد بشير الشهابي، ثم إلى حفيد أحمد حيدر الشهابي، بعدما صار بالغاً. لكنّ انخراط الأمير بشير الثاني الشهابي في صفوف المصريين ضمن حملة إبراهيم باشا المصري على بلاد الشام، جعل العثمانيين يُنهون حكم الشهابيين. قبل ذلك وبعده، ظلّ نفوذ الكنيسة المارونية يزداد ويتوسّع، إذ تمّ شراء مساحات واسعة من الأراضي، وُظّف فيها آلاف الفلاحين، وكانت فرنسا تدعم الطوائف الكاثوليكية في إطار صراع النفوذ مع العثمانيين، وتجارة الحرير تتمّ مع فرنسا عبر الكنيسة، التي أخذت تتطلع مع تراجع دور المقاطعجيين وضعف العائلات الإقطاعية إلى لعب دور سياسي، كان يؤديه لها أولاً الأمراء المعنيون بعد تحوّلهم إلى المسيحية، ثم صارت تضطلع به بشكل مباشر بعد سقوط حكمهم، وبهذا حصل التداخل الأول بين الدين والسلطة.

تجدر الإشارة إلى أنّ التسامح الديني ساد في عهدي المعنيين والشهابيين على مستوى العالم، وتأتي إشكاليّته من انعدام الموضوعية فيه، التي تتمثّل بالمقولة الشهيرة: «التاريخ يكتبه المنتصرون». تفرض هذه المقولة على دارس التاريخ قراءة مصادره المتعددة، التي كتبها المنتصرون والمهزومون ومن كانوا خارج معركتهما، للحصول على الرؤية الأقرب إلى حقيقة ما حدث.

في بلدٍ كلبنان، يعيش في حقبة اتفاق الطائف، التي أنهت نظرياً الحرب الأهلية وافتُتِحت تحت عنوان «لا غالب ولا مغلوب»، يمكننا أن نتخيّل حجم التباين في كتابة التاريخ بالنسبة إلى كل طرفٍ سياسي. يترسّخ هذا التباين ويتجذّر في المجتمع متحوّلاً إلى نُذُر تفكك وتقسيم مع امتلاك كل حزب مدارسَ ومؤسساتٍ تعليمية خاصّة به، تُلقّن طلابها من محازبيه وأبناء بيئته نسختها الخاصة من تاريخ البلد.

في محاولةٍ لتقديم قراءةٍ أخرى، وكتابة تاريخ «يبتعد من السرديات التمجيدية والطائفية، التي دائماً ما طبعت مقاربات عدد من المؤرّخين اللبنانيين التقليديين»، صدر كتاب «تاريخ لبنان الحديث والمعاصر 1516 . 2026»، للباحث جمال واكيم (مركز دراسات الوحدة العربية). من أجل تقديم سردية جديدة تهدف إلى فهم الديناميات المركّبة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي شكّلت دولة لبنان الكبير، بركز واكيم على دمج البعد الدولي بالبعدين الإقليمي والمحلي في مختلف مراحل تاريخ جبل لبنان، منذ أواخر عهد المماليك، مروراً بالقرون الأربعة من حكم العثمانيين، وصولاً إلى فترة الانتداب الفرنسي التي أُعلن في مطلعها إنشاء دولة لبنان الكبير.

1516 : بداية حقبة طويلة

اختار واكيم سنة 1516 بدايةً لتاريخه. في هذه السنة وقعت معركة في سهل مرج دابق، شمال حلب، بين الجيشين المملوكي والعثماني، حيث انتصرت قوات السلطان سليم الأول، ما جعل بلاد الشام، ومن ضمنها جبل لبنان، تحت الاحتلال العثماني. يعود الباحث إلى العقود التي سبقت هذا التاريخ، ويقرأ صفحات لشرح نشوء وتوسّع دول من المماليك والصفويين والعثمانيين، والتهديد الذي مثّله لهم المغول خاصّة في عهد تيمورلنك، من أجل فهم الأوضاع العامة للمنطقة قبل الغوص في تفاصيل بقعةٍ صغيرة منها. كما يشير إلى دور الصراعات التي نشبت على طرق التجارة البحرية بين البرتغاليين والمماليك، التي خسّرت الأخيرين دوراً جيواستراتيجياً واقتصادياً، بفعل اكتشاف البرتغاليين لرأس الرجاء الصالح في أواخر القرن الخامس عشر، وبالتالي انعدام حاجتهم إلى المرور برّاً عبر أراضي شرق المتوسط للوصول إلى الهند وأعماق آسيا.

فخر الدين الثاني: مؤسّس لبنان الحديث

في أوائل القرن السابع عشر، ورث الأمير فخر الدين الثاني الصيادي، على المناطق الدرزية في جنوب جبل لبنان، لكنّ هذا السياسي الداهية وسّع حدود إمارته تدريجياً، لتشمل أولاً المناطق الشمالية من الجبل، التي كان يعيش فيها الموارنة، «وبذلك وضع الأنقاض الدرزي، المارونيَ الذي قام عليه لبنان كولاية عثمانية». ثم مدّ حدوده إلى ولاية طرابلس، والداخل السوري الواقع شرق سلسلة

تاريخ بداية الحرب الاهلية هو 26 شباط لا 13 نيسان

نظام القائمقاميتين ونظام المتصرفية

بعد سقوط الشهابيين سنة 1842، ثم النظام الإقطاعي، وُلد نظام القائمقاميتين. مثّل أول نظام طائفي رسمي عرفه لبنان منذ أقدم العصور، حيث قُسّم جبل لبنان إلى منطقة شمالية يسكنها الموارنة، ومنطقة جنوبية يسكنها الدروز، على خلفية توترات طائفية بينهما. لكنّ هذا الفصل الطائفي لم يُفلِح في منع الفتنة الكبرى في 1860 من الوقوع. بدأت في جبل لبنان وامتدّت إلى مدن أخرى في سوريا ولبنان حالياً، وخاصّة دمشق، وفي هذا عبرة للحاضر.

بعد أحداث هذه الفتنة الطائفية بعام، أُقرّ نظام المتصرفية في جبل لبنان، الذي جعله منفصلاً من الناحية الإدارية عن بقية مناطق بلاد الشام. ومن أهم تداعياته أنّه كرّس مبدأ التناقضات بين الطوائف، فتمّ الاتفاق على أن يكون الحاكم عثمانياً مسيحياً كاثوليكياً، غير تركي وغير لبناني، تُعيّنه الدولة العثمانية بموافقة الدول الأوروبية الست العظمى (بريطانيا، فرنسا، النمسا ـ المجر، روسيا، بروسيا، وإيطاليا)، ويساعده في أداء مهامّه مجلس إدارة استشاري، يتوزّع أعضاؤه بحسب المناطق والطوائف. وفي هذا صيغة تدويلية مبكرة لحكم لبنان، استمرّت حتى يومنا هذا.

بقي نظام المتصرفية قائماً حتى ما بعد الدخول في الحرب العالمية الأولى، إلى أن انهار في 1915، مع قرب انهيار الإمبراطورية العثمانية وخسارتها مناطقها الطرفية.

إنشاء دولة لبنان الكبير

في 1920، أُعلن عن إنشاء دولة لبنان الكبير، التي رسمت حدودها الحالية فرنسا بالشراكة مع البطريرك الماروني الياس الحويّك. المنطلق الذي اتّخذته الدولة الناشئة منذ ولادتها يقوم على الدور الرئيسي للكيانات الطائفية داخل الوطن الواحد، وهو ما دفعت إليه الكنيسة المارونية، بحسب واكيم، لأنها كانت الطائفة الأغنى والأكثر دعماً خارجياً، وبالتالي الأقوى في الداخل، وهو ما ترجم في نظام الحكم، قبل أن تفقد هذه المكانة بعد الحرب الأهلية. يشير واكيم إلى أن الاصطفافات الطائفية دفعت الطوائف الأخرى إلى تقليد الموارنة، فاصبح لكل طائفة جناحها السياسي، والقوى الخارجية الداعمة لها.

إقامة دولة لبنان الكبير بإعلانٍ فرنسي يمكن أن يُفسَّر على أنّه ترجمة للتعاطي الغربي مع «المسألة الشرقية»، التي تقوم على تقاسم تركة العثمانيين في الشرق. وقد بدأ الحديث عنها بالتزامن مع ضعف الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر بسبب عجزها عن مواكبة التغيّرات العالمية الحاصلة، ثم أُخرجت منها روسيا بسبب خسارتها حرب القرم الثانية ضد العثمانيين المدعومين من الأوروبيين، قبل أن تشرع الدول الغربية في إنشاء كياناتٍ لجماعتها، وهو ما فعلته فرنسا للموارنة في لبنان، وبريطانيا لأولاد الشريف حسين في الأردن.

الحرب الأهلية واسبابها الطبقية

ينطلق جمال واكيم في تفسيره نشوب الحرب الأهلية عام 1975 من فكر المفكر الماركسي الجديد المتأثر بغرامشي، بيتر غران، الذي يُرجع أنماط الهيمنة في بلدان العالم الثالث، ومنها لبنان، إلى ما سماه نمط الهيمنة القبلي العرقي. وفق هذا التفسير، تُعرقل النخب المُنشئة لنظام الحكم الصراعات الطبقية من خلال تحويلها إلى صراعات طائفية أو عرقية، بالتعاون مع القوى الخارجية المستفيدة من النظام المأزوم. من هنا، يعارض واكيم الرواية اليمينية السائدة الحاجة للصراع الطبقي، التي تُصوّر الحرب على أنها «حرب قومية دفاعاً عن الوطن ضد الغرباء الفلسطينيين». تاريخ بداية الحرب الأهلية، بحسب واكيم، هو 26 شباط لا 13 نيسان، ومكانها صيدا لا عين الرمانة، حيث أطلق مقاتلو حزب «الكتائب» النار على حافلة فلسطينية كما هو معروف.

تاريخياً، ظلّ الاقتصاد اللبناني منذ زمن فخر الحاكمة، ثم نظام القائمقاميتين، ثم المتصرفية، وصولاً إلى لبنان الكبير، اقتصاداً في خدمة مصالح الطبقة الحاكمة، غير عابئ بعامة الناس. ترسّخ ذلك بعد نكبة فلسطين، حيث لجأ أصحاب رؤوس الأموال المهجّرون شمالاً مع ثرواتهم، وانشأوا مصارف كمصرف «أنترا» ليوسف بيدس، ومصرف «فيرست ناشيونال بنك» و «بنك بيروت»، وغيرها من الشركات العقارية والخدمية. عملت هذه الطبقة الجديدة، التي مُنحت الجنسية اللبنانية دوناً عن عامّة اللاجئين الفقراء من سكان المخيمات، على جلب رأس مال البترودولار الخليجي إلى مصارفها، بدءاً من مطلع الستينيات، وهي الفترة التي بدأ فيها استخراج النفط في السعودية والكويت والإمارات، ما أدى إلى تركيز الاهتمام الحكومي بقطاع المصارف والخدمات والسياحة، وإهمال القطاعات الإنتاجية كالزراعة والصناعة. وصلت الأزمة إلى ذروتها منتصف السبعينيات، مع تفاقم هجرة أبناء الأرياف وإقامتهم في أحزمة بؤس حول المدن، ومعاناتهم من البطالة والعوز.

الأسباب الاقتصادية والطبقية كانت المُفجِّر لاحترابات أهلية سابقة، منها الصراع على ملكية الأراضي بين المقاطعجية والفلاحين بعد انهيار الحكم المصري في بلاد الشام (1831 . 1840)، والمواجهات الدامية بين الفلاحين والإقطاعيين التي بدأت قبل عامين من فتنة 1860، وإن كانت العوامل الطائفية حاضرةً دائماً نظراً إلى التداخل بين الدين والسياسة، الذي كانت الكنيسة المارونية تجسيده الأوضح في تلك الفترة، إذ أصبحت المالكة الجديدة للأراضي التي كانت سابقاً للمقاطعجيين الدروز والموارنة.

اتفاق الطائف والجمهورية الثانية

كرّس اتفاق الطائف، الذي انعقد في السعودية عام 1989 وأنهى نظرياً الحرب الأهلية، اختلال توازن القوى على المستويين الإقليمي والدولي. فمع تراجع دور فرنسا التدريجي بعد الحرب العالمية الثانية، صعدت الولايات المتحدة ومدّت نفوذها في مختلف أرجاء الكوكب. وبعد رحيل جمال عبد الناصر وتوقيع مصر اتفاق كامب ديفيد، تراجع دورها العربي على حساب السعودية. وكانت سوريا المجاورة والمتواجدة منذ عام 1976 بقوات عسكرية على الأرض اللبنانية الأداة التنفيذية لهذا الاتفاق. هكذا تمّ تقاسم النفوذ في لبنان بين هذه الدول الثلاث، وانتقلت كتنيجة للحرب الأهلية والتغيُّر التوازنات المذكورة أعلاه الكثير من صلاحيات السلطة التنفيذية من رئيس الجمهورية الماروني إلى رئيس الحكومة السني. اختلّ الاتفاق بدءاً من الغزو الأميركي للعراق ورفض سوريا مساعدة أميركا فيه، ثم في 14 شباط 2005 باغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري. سبق هذا الاغتيال قرار من مجلس الأمن يطالب القوات السورية بالخروج من لبنان، وبعده بسنوات انخفض السعر السوري ضد نظام الأسد، الذي انهار أواخر عام 2024. وبالتالي يمكن وضع ما يشهده لبنان والمنطقة في إطار إعادة تثبيت حدود القوى على الأرض، بعدما اختلّت موازينها بسبب عملية «طوفان الأقصى» في غزة، وما تلاها من تحويل مستمرة ومترابطة، في فلسطين ولبنان وإيران.

يخلص واكيم إلى أنّ الدرس الذي يمكن استخلاصه من تاريخ لبنان غير الخطي وغير المتجانس، هو أنّ هذا التاريخ «لا يُفهم إلا إذا نُظر إليه كحقل دائم التحوّل، وصراع مستمر على تعريف الهوية، ومجال مفتوح للتفاوض بين الطوائف والطبقات والفاعلين الخارجيين».

رواية

جمال حيدر: عن الهجرة والوطن والمنفى

ليس البحر في «شايف البحر؟» مجرد طريق إلى الضفة الأخرى، بل امتحان لحلم جيل يرى في الهجرة باباً للخلاص. في روايته الجديدة، يرافق جمال حيدر شاباً تونسياً من «الحرقة» إلى الغربة ثم العودة، طارحاً أسئلة الوطن والمنفى والهوية، ومختبراً هشاشة الأحلام حين تصطدم بالواقع

عقيل إكرام *

لا يقص علينا جمال حيدر في روايته «شايف البحر؟» (دار لندن للطباعة والنشر) حكاية شاب يهاجر في قوارب الموت السرية لتغيير واقعه، ولقاء حبيبته فحسب، بل ليضعنا أمام أنفسنا لنسأل عن الهجرة، وعن معنى الوطن الحقيقي، وعن الهوية والمشاعر.

«الحرقة» بحثاً عن مستقبل

منذ الصفحات الأولى وبأجواء فيروزية، يطلب منا المؤلف بتؤدة مرافقة يوسف بن سالم الشاب التونسي خريج كلية الفلسفة الذي يعمل على قارب والده لصيد الأسماك في مدينة حلق الواد، في رحلته، بالتماهي معه في كل تفاصيل حياته، وكأننا نعرفه، أو هو واحد منا، نشجعه تارة، ونسخط عليه تارة أخرى، نطرح عليه الحلول، ونشاركه انفعالاته حتى السطر الأخير من الرواية.

لا بد من القول إن جمال حيدر أثر ألا يخلق من يوسف بطلاً أسطورياً يتحدى الأهوال، ليجد بعدها الحلول لكل مشكلاته، بل رسمه شخصية واقعية ولد من رحم تونس، وتشرَّب معاناة غالبية شبابها، حتى غدت الهجرة السرية عبر البحر (الحرقة) في قوارب الموت هي الحل الوحيد لتأمين مستقبله، لذا قرر خوضها عبر البحر.

شردت الرواية بصوت الراوي العليم، وحدد الكاتب حضوره بالسرد، ما أتاح لنا أن نعرف البناء النفسي لشخوص أبطال العمل، وتحليل أفعالهم وردودها بحرفية ووفق إيقاع متوازن، جاذباً القارئ نحو المزيد من تورط القراءة، دافعاً به إلى اليقظة في ترقب التفاصيل الآتية.

البحر مشهداً سينمائياً

لكل رواية لغة، وجمال حيدر استخدم في سرده لغة منسجمة مع أحداث العمل، لغة تميل إلى الشاعرية في مواضع غير قليلة، بارزًا قدرته على مطواعة المعاني في جمل تجعلنا نتوقف عندها: «أخشى أن أهرم هنا قبل تحقيق أحلامي، فما فائدة الأحلام حين تأتي متأخرة؟» (ص. 21)، «ساقضم التفاحة وأبتهل المغفرة من الخالق، هذا عهدنا نحن الرجال» (ص. 51).

تمكن المؤلف بحرفية من أن يكتب مشهداً سينمائياً بامتياز، حين صور لنا رحلة القارب من سواحل مدينة صفاقس ليلاً برفقة ركاب آخرين من تونسة وعرب وأفارقة، حتى انقلابه، وفقدان من كان على متنه: «في وسط الأمواج كان يوسف على وشك الغرق، شعر بعدم التوازن، دفعته الأمواج في اتجاهات شتّى، فبما تطايرت أحلامه في الخلاص مع الأمواج الهادرة التي ترفعه عالياً تارة، وتهبط به في العمق تارة أخرى. تعذّر عليه التنفس، كان على وشك الغرق، تمنى حينها أن تتحول ذراعاه إلى جناحين تحملانه بعيداً، بكى فزعاً، وامتلأت عيناه بدموع مالحة، أشدّ ملوحة من مياه البحر. قرّر إغماض عينيه، إذ لا رغبة لديه ليرى موته. في تلك اللحظات لمنطق النهايات المريحة، ليقود الأحداث إلى خاتمة غير متوقعة، يعود فيها البطل إلى وطنه مثقلاً بالخيبة، بعد أن أدرك أن الأحلام قد تكون أكثر هشاشة من أن تصمد أمام الواقع.

لم تكن هذه النهاية مفاجئة على مستوى الحدث فحسب، بل كانت منسجمة مع الرؤية الفكرية للرواية، إذ تؤكد أن الهجرة ليست وصفة سحرية للخلاص، وأن الإنسان قد يجتاز البحار، لكنه لا يستطيع دائماً أن يقفز فوق أقداره وبتخطاها، هذه الجرأة في كسر توقعات القارئ تُحسب للمؤلف لأنها منحت الرواية قوة فنية، وأبعدتها عن النهايات التقليدية التي تستجيب لرغبات المتلقي أكثر مما تستجيب لمنطق النص.

لا ينفك جمال حيدر برفد الرواية ببعض المعلومات التي تبرز ثقافته خاصة التاريخية والوطنية، مازجاً بينهما، إذ حاول تمرير معلومات عن الحضارات الرافدينية، تاركاً المعلومة تمضي وئيداً ضمن سياق السرد. كذلك، تعمّد ترك بعض المواقف معلّقة من دون تفسير، ليتيح للمتلقي مساحة كافية يفكر ويستخلص تفسيراً يقنعه، كما فعل مع علاقة سعيدة ويوسف، علاقة ملتبسة بين القرب والبعد، لهذا تارجحت تأويلاتنا كمتلقين، بين الإعجاب والحب بينهما، وربما الشفقة عليه، كونه ابن بلدها الضائع بين الحلم واليقين. مع ذلك، فإن اختيار الكاتب أن تكون سعيدة آخر شخصية يتواصل معها يوسف قبل إسدال الستار على الرواية لا يخلو من إشارة إلى أن ثمة علاقة وجدانية توشجهما، حتى ولو حاول المؤلف عدم إظهارها للقارئ بصورة واضحة.

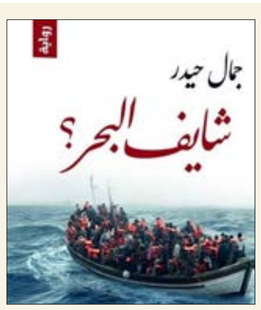

رواية إنسانية بامتياز تجمع بين جمال السرد وصدق التجربة

رحلة تغيّر الإنسان

تكمن القيمة الحقيقية لهذه الرواية في الطريقة التي تمت معالجة موضوعها. فقد نجح المؤلف في المزج بين البعد الإنساني والبعد الفني، وبين الواقعية والتأمل، ليقدم لنا نصاً يثير الأسئلة أكثر مما يقدم الإجابات، وهنا تكمن أهمية النص، أي نص، فالنص الحقيقي هو الذي يثير الأسئلة، حتى بعد الانتهاء من القراءة، إذ لا يبقى في الذاكرة مشهد البحر أو رحلة الهجرة وانقلاب القارب والتعرض لخطر الغرق فحسب، بل يبقى الإنسان الذي حمل حلمه على ظهره، وعاد مهزوماً في النهاية، مدركاً أن بعض الرحلات لا تغيّر الجغرافيا فقط، بل تغيّر الإنسان نفسه.

تؤكد رواية «شايف البحر؟» أنّ الأدب الحقيقي لا يكتفي بتوثيق الواقع، بل يمنح هذا الواقع معنى، ويجعل القارئ أكثر قدرة على فهم الإنسان وآلامه. لذلك فهذا العمل يستحق أن يُقرأ بوصفه رواية إنسانية بامتياز، تجمع بين جمال السرد وصدق التجربة، تاركة في ذواتنا أثراً عميقاً في الوجدان بعد طي الصفحة الأخيرة.

لا بد من الاعتراف أنه لولا معرفتنا بهوية المؤلف، لتبادر إلى ذهننا بأنه تونسي الجنسية، تنفّس من نسمات بحرها وقُطم على زيتونها، خصوصاً مع وجود بعض الحوارات بالدارجة التونسية، ما منح العمل مصداقية المساحة السردية بكل تفاصيلها.

* روائي عراقي

لمحات

مجلة الدراسات الفلسطينية

يتضمن العدد 147 (صيف 2026) من «مجلة الدراسات الفلسطينية» افتتاحية بعنوان «الضفة الغربية: الحرب النسبية» تتناول التطورات الأمنية والاستيطانية في الضفة الغربية منذ بدء بناء الجدار عام 2004، ومشروع «الكابينيت» المتعلق بضم الضفة وقرارات شراء الأراضي للمستوطنين، إضافة إلى الوضع في قطاع غزة في ظل اتفاق الهدنة القائم. يضم العدد أحد عشر مقالاً تتناول الحرب الأميركية-الإسرائيلية على إيران وتداعياتها على القضية الفلسطينية، ومساعي إسرائيل التوسعية في المنطقة في ظل إغلاق مضيق هرمز، إلى جانب وقائع ندوة أكاديمية عُقدت في رام الله حول واقع الفلسطينيين، ومقابلة مع نائب رئيس الحكومة اللبنانية طارق متري حول حرب لبنان والمفاوضات المرتبطة بها. ويتضمن باب «في الذاكرة» سيرة المؤرخ وليد الخالدي وشهادة عن ليلى شهيد، بينما يقدّم قسم التقارير رصدًا لأحوال فلسطين خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة، وجدولاً زمنيًا للاعتداءات الإسرائيلية على لبنان بين عامي 1948 و2026، وتقارير حول استهداف الصحافيين في لبنان وغزة، إلى جانب مواد ثقافية حول السينما والفن.

منى محمد علي داغستاني

يأتي كتاب الباحثة السورية منى محمد علي داغستاني «اللمحية في الشعر العربي: محمود درويش أنموذجاً» الصادر عن «مركز دراسات الوحدة العربية» ليملأ فراغاً نقدياً باررزاً حول تجلّيات اللمحية في الأدب العربي، بينما يُجمع النقاد على خلوّ الشعر العربي من «اللمحة» بمفهومها التقليدي القديم، يتتبع هذا الكتاب الملامح اللمحية الكامنة في قصائده الطويلة، متخذاً من تجربة الشاعر محمود درويش نموذجاً أساسياً للدراسة. يكتسب العمل أهمية استثنائية لندرة الدراسات التي قاربت هذا البعد لدى درويش. ترصد المؤلفة كيف ارتبط البعد الملحمي في شعره بالبحث عن الهوية، ومواجهة الآخر، وتجسيد التواصل الحضاري الإنساني من أجل الحرية والسلام. كما يُظهر الكتاب أثر القضية الفلسطينية في تعميق هذه الملامح عبر أبعاد فنية وجمالية، محولًا شعر النضال والمعارك إلى فضاء إنساني عالمي يدافع عن المظلومين كافة. يتوزع الكتاب هيكلياً على قسمين تتبنق منهما سبعة فصول. ليقدم إضاءة شاملة على آليات ظهور الملحمية في الشعر العربي القديم والحديث، مستعرضًا خصوصية تجربة درويش وثراءها الزمني والنوعي الذي دفع بقضيته وشعره إلى مصاف العالمية.

جميلة بنت عبدالله المطيري

تُقدّم الباحثة السعودية جميلة بنت عبدالله المطيري، في كتابها «أحبار الخطوط» (المؤلف للنشر)، عصارة خبرة ممتدة لأكثر من خمسة عشر عاماً في مجالات ترميم المخطوطات والوثائق وفهرستها. يهدف هذا الإصدار إلى تقديم نظرة شاملة ومعمقة حول القيمة التاريخية للمخطوطات، وأبرز التحديات التي تهدد بقاءها، مع رصد الجهود المبذولة في العالم العربي لحمايتها وصونها. وتسلّط المؤلفة الضوء، على الدور الريادي والحوري الذي تضطلع به مراكز الترميم في السعودية في إحياء هذا الإرث، وتهيئته علمياً ليصبح بين أيدي الباحثين تحقيقاً ونشراً. يعتبر الكتاب إضافة للمكتبة العربية، ورافداً أساسياً يسهم مباشرة في نشر الوعي بأهمية العناية بالمخطوطات؛ باعتبارها «ذاكرة الأمة» الحية وشاهداً أصيلاً على دورها في مسيرة التاريخ الثقافي العالمي.

إيزابيله الليندي

تنسج الروائية التشيلية إيزابيل الليندي في روايتها «الريح تعرف اسمي» (2023)، الصادرة في نسختها العربية عن «دار الآداب» (ترجمة مارك جمال)، ملحمة إنسانية مؤثرة، تربط من خلالها بين ماساتي لجو، يفصل بينهما التاريخ وتجمعهما الآلام. تفتتح الليندي سردها التاريخي عام 1938 مع الطفل الألماني صامويل أدلر، الذي تضطر والدته لإرساله بمفرده إلى إنكلترا عبر قطارات إنقاذ الأطفال هرباً من جحيم الحرقة النازية، ليقضي عقوداً من عمره خلف جدار نفسي بناه حول نفسه طلباً للأمان. وفي توازٍ درامي متقن، تنقلنا الرواية إلى عام 2019 لتسلط الضوء، على الطفلة السلفادورية الكفيفة آنيتا ديال التي يلتهم أمن الحدود الأميركية تذاكر هروبها ويفصلها قسراً عن والدتها الهاربة من العنف المفرط في بلادها. تتشابك مصائر الشخصيات في إطار ملحمي يبرز صدمات التهجير القسري وقسوة القوانين الدولية الجائرة بحق المستضعفين. فبينما تلوذ آنيتا من وحشة زنازين الحدود بابتكار عالم خيالي مواز تلتقي فيه بأحبتها على طريقة «الأمير الصغير» تبدأ رحلة قانونية معقدة تقودها اختصاصية اجتماعية ومحامون متطوعون يسابقون الزمن للمّ شمل عائلتها. لا تكتفي الليندي برصد المأساة تراجيدياً، بل تقدم سردًا يمزج بين مرارة الفقد وبصيص الأمل، مستندة إ

ذكرى

غسان كنفاني
حبٌّ إلى الأبد

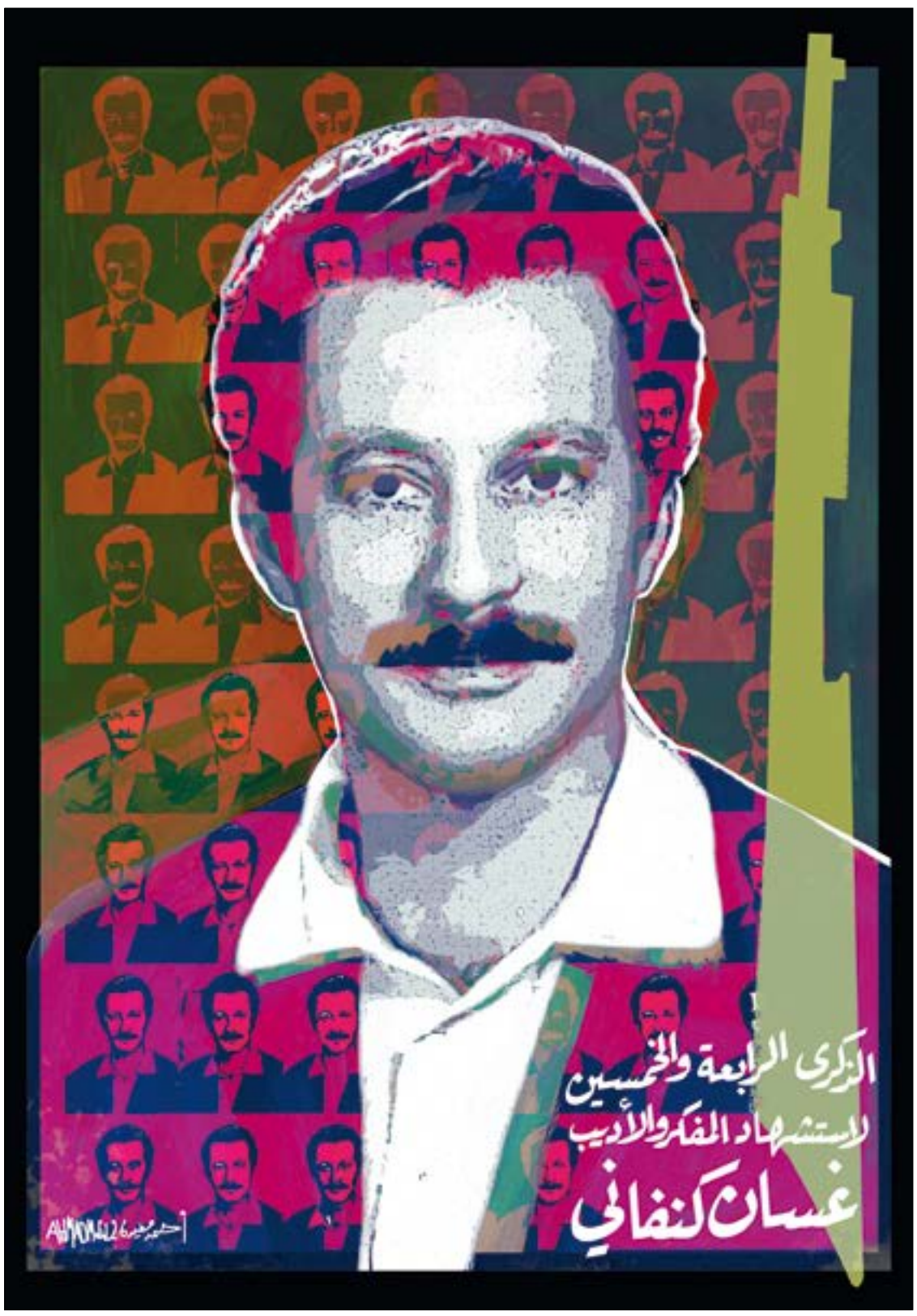

أحمد مفيد

«كان ذلك زمن الحرب. الحرب؟ كلا، الاشتباك ذاته... الالتحام المتواصل بالعدو لأنه أثناء الحرب قد تهب نسمة سلام يلتقط فيها المقاتل أنفاسه. راحة. هدنة. إجازة تقهقر. أما في الاشتباك، فإنه دائماً على بعد طلقة. أنت دائماً تمر بأعجوبة بين طلقتين، وهذا ما كان، كما قلت لك، زمن الاشتباك المستمر » (غسان كنفاني، «الصغير يذهب إلى المخيم»، 1967).

54 عاماً عند القبر

في الذكرى الرابعة والخمسين على استشهاد الأديب غسان كنفاني (1936 . 1972)، تجمَّعنا برفقة آني زوجة غسان، وابنته ليلى، وبعض الأصدقاء، والعاملات في حضانات غسان كنفاني. بدأ الحديث بجانب القبر، في عام 1972، حين كان مثوى شهداء فلسطين الواقع عند أطراف حرش بيروت يضم عدداً قليلاً من الشهداء «أول صفين من القبور»، كما تقول ليلى كنفاني التي تُحيي ذكرى والدها الشهيد منذ 54 عاماً.

خلال حديثنا، أخذتنا آني وليلى كنفاني في رحلة ذكريات، ليس تلك التي مع غسان، بل في إحياء ذكراه على مر سنوات طويلة، في المكان نفسه كل عام. وخلال العامين الماضيين، اقتصرت الفعاليات على أعداد قليلة من الناس بسبب الحرب. ورغم هذه السنوات الأربع والخمسين من فعاليات إحياء الذكرى، تعتبر آني أن ذكراه في عام 1974 كانت علامة فارقة في حمل إرث غسان ونهجه. ففي هذا العام، تزامنت ذكراه مع تأسيس حضانات غسان كنفاني في مخيمات لبنان، و «مؤسسة غسان كنفاني الثقافية»، كما أقامت لاحقاً مراكز لتأهيل الأطفال ذوي الإعاقات الجسدية والعقلية. عملت المؤسسة على إنشاء مؤسسات تربوية للأطفال تحمل رؤية وطنية وعلمية تعبّر عن فكر الشهيد التربوي.

حين صار إرث غسان روضةً للأطفال

تُعتبر روضة مخيم برج البراجنة في بيروت أول روضة أقامتها المؤسسة، في عام 1974، حيث عملت مع أطفال المخيم، وكانت التجربة الأولى التي حفّزتهم على تطوير الفكرة ونقلها إلى مخيمات وأماكن جديدة. الروضة الثانية كانت روضة مخيم عين الحلوة في صيدا، التي أُنشئت في عام 1975، وطُوِّرت في عام 1978 لتشمل 300 طفل، وثلاثة وعشرين موظفاً وموظفة، وحافلة لنقل الأطفال. تعرَّضت الروضة للتدمير الجزئي بفعل الاحتلال الإسرائيلي للبنان عام 1982. الروضة الثالثة كانت روضة مخيم الرشيدية في مدينة صور، التي تأسست عام 1978 في بيت تملكه المؤسسة، وتعرض مراراً للقصف الإسرائيلي بسبب الاعتداءات المتكررة على مدينة صور. ومع اشتداد الحرب، تهدّم البيت، وأُغلقت الروضة، إلى أن أُعيد بناؤها عام 1992 لتحتضن 50 طفلاً يشرف عليهم ثلاث مربيات وعاملة. أما الروضة الخامسة، فكانت روضة مخيم نهر البارد في مدينة طرابلس، التي تأسست في عام 1978، وكانت تُعتبر الأكبر حجماً من حيث البنية، إذ يتألف بناؤها من ثلاث طبقات، وملعب، وطابقين للصفوف الدراسية والإدارة، وتضم ما يُقدَّر بـ 200 طفل يشرف عليهم 17 موظفًا وموظفة.

> أنت دائماً تمر بأعجوبة بين طلقتين، وهذا ما كان، كما قلت لك، زمن الاشتباك المستمر

والسادسة كانت روضة مخيم مار الياس في مدينة بيروت، التي تأسست عام 1981، لتحتضن 65 طفلاً و6 مربيات وعاملة. وإلى جانب هذه الروضة، أُنشئت روضة أطفال ذوي الإعاقات الجسدية في عام 1985، وفي العام الذي يليه، قامت المؤسسة بإنشاء مركز تأهيل للأطفال ذوي الإعاقة العقلية في مخيم عين الحلوة. تحتضن حضانات «مؤسسة غسان كنفاني الثقافية» اليوم 550 طفلاً في الست حضانات التابعة لها، و300 طفل في المكتبات التابعة للمؤسسة، و120 موظفاً.

ورقة من مستشفى المعمداني

في مستشفى الأهلي العربي المعمداني، يوم السابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) 2023، نشر الفنان محمد سامي قريقع (14 نيسان 1999 – 17 تشرين الأول 2023) على منصته على إنستغرام مقطع فيديو قصيراً، لا يتجاوز الدقيقة والنصف، يظهر فيه وهو يقوم بأنشطة ترفيهية للأطفال في مستشفى المعمداني. ومع أغنية «سلامٌ لغزة، سلامٌ سلام»، كتب محمد أنه خلال تواجده في المستشفى شاهد العائلات والأطفال في حال من الخوف والضغط النفسي، وأضاف: «حاولت أن أُخفِّف عنهم هذا الخوف والذعر، بطلب المساعدة من طاقم من المتطوعين المدنيين داخل المستشفى، لنُغيِّر لهم هذه الحالة إلى حالة من اللعب والضحك والصُراخ بصوت عالٍ». وهو بالتأكيد لم يكن يتوقع أنه برفقة كل هؤلاء سيتحولون إلى شهداء بحلول المساء.

من غسان إلى محمد سامي قريقع

في أعماله المنشورة في الذكرى الخمسين لاستشهاد غسان كنفاني، استلهم محمد سامي عدداً من الأعمال الفنية التشكيلية المستوحاة من أدب غسان كنفاني، التي نُشرت في مجلة «طيف» الصادرة عن «مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي» وعرضت في المتحف الفلسطيني في بيرزيت. عمل محمد على تخيُّل مشهد سماع خبر اغتيال غسان كنفاني وليس نجم في هذا اليوم القاسي من تموز 1972، والذي كان قد أُذيع على كل محطات الراديو في كل مكان.

رسَم في إحدى اللوحات راديوهات متعددة على قماش مليء باللون الأحمر، الذي يشير إلى الدم المسفوك في هذا الخبر. هذه اللوحة تُقابلها لوحة بورتريه لغسان كنفاني، رسمها محمد بألوان متعددة، لتتكامل مع مشهد قريب من رواية «ما تبقى لكم». كان محمد سامي متعلقاً بغسان إلى حد كبير، وقد حمل إرثه في جعل الفن أداة لمقاومة عنف الواقع الاستعماري، كما في المشروع الفني للشهيد قريقع «كود الروبيك»، الذي استخدم فيه التكنولوجيا والفن لتوثيق جرائم العدو. ومحمد الذي لم يُكمِل مشروعه الفني التوثيقي، ترثيه صديقته بيسان نتيل بقولها: «لا يمكنك تخيُّل فاجعة الموت، أمنياتنا بين الخيام، ليبدو هذا الموت الأقل وجعًا أمام وجعنا الحقيقي، ولي أن أتخيل معرضك الفني القادم بكل عناصر موتنا، لتحمل مع كل ضربة لون رمزية عالية في البحث عن معنى لكل هذا».